

منتقى التفاسير

تفسير سورة

الرحمن

جمع واعداد

محمد منيس الحجاجي



منتقى التفاسير

[تفسير سورة {الرَّحْمَنُ}]

مكية في قول الجمهور وعدد آياتها (ثمان وسبعون آية) في عد الكوفة والشام، وسبع في الحجاز، وست في البصرة⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة السورة

أخرج النحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الرَّحْمَنِ بِمَكَّةَ. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: أنزل بِمَكَّةَ سورة الرَّحْمَنِ. وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت سورة الرَّحْمَنِ بِمَكَّةَ. وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الرَّحْمَنِ بِالْمَدِينَةِ.

وأخرج أحمد وابن مردويه بسند حسن عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمُشْرِكُونَ يسمعون {فبأي آلاء ربكم تكذبان}.

وأخرج الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرَّحْمَنِ من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: ما لي أراكم سكتوا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله {فبأي آلاء ربكم تكذبان} قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد. وحسنه الالباني في الصحيحة.

وأخرج البزار وابن جرير وابن المنذر والدارقطني في الأفراد وابن مردويه والخطيب في تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرَّحْمَنِ على أصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ما أتيت على قوله الله {فبأي آلاء ربكم تكذبان} الا قالوا: لا شيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

1 - قال الشيخ عبد الكريم الخضير " يقول: "ست أو ثمان وسبعون آية" لا زيادة حرف ولا نقص حرف، إنما الاختلاف في عد البسملة آية فيكون الفرق آية واحدة، وعد {الرَّحْمَنُ} [(1) سورة الرحمن] آية مستقلة، أو بعض آية، فيكون {الرَّحْمَنُ} * عَمَّ الْقُرْآنُ { (1 - 2) سورة الرحمن] آية، وهذا في جميع القرآن، يعني العد البصري والعد الكوفي والعد كذا على حسب ما يرون في البسملة، وفصل بعض الآيات عن بعضها، بعضهم يجعل الآية آيتين، وبعضهم يجعلها آية واحدة، مثل الفاتحة الآن، الفاتحة سبع آيات {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [(87) سورة الحجر] سبع آيات، وتجدون في المصاحف بعضها البسملة معودة والعدد سبع، وفي بعضها البسملة غير معودة والعدد سبع، والسبب {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [(7) سورة الفاتحة] إما أن تكون آية كاملة أو نصف آية، فإن عدنا البسملة قلنا: نصف آية، وأكملنا إلى آخر السورة آية واحدة، وإذا قلنا: البسملة آية .. ، إذا قلنا: إنها آية عدنا الآيتين {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} غير المغضوب عليهم ولا الضالين} [(7) سورة الفاتحة] آية واحدة، وإذا قلنا: البسملة ليست بآية، وبدأنا من {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [(2) سورة الفاتحة] الأولى قسمنا هذه الآية إلى آيتين، وهذا أمر معروف، وهذا لا يتأثر به القرآن، القرآن مصون من الزيادة والنقصان، يعني العد هذا لا تأثير له، لكن الإشكال أن يفهم أنه ما دام قال واحد: ست وسبعين وقال: ثمان وسبعين الفرق آيتين وين راحت الآيتين؟ أين ذهبت الآيتان؟ لا، لا ما ذهب شيء ولا يحتمل زيادة ولا نقصان إنما مرد الخلاف هذا " .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ عَنْ عَلِيٍّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ الرَّحْمَنُ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَارِءُ الْحَدِيدِ وَ{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} وَالرَّحْمَنُ يَدْعِي فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سَاكِنَ الْفَرْدُوسِ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَفْصَلِ ابْنِ مَسْعُودٍ الرَّحْمَنُ.

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ قَرَأْتُ الْمَفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ فَقَالَ: أَهَذَا كَهَذَا الشَّعْرُ لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ الرَّحْمَنُ وَالنَّجْمُ فِي رَكْعَةٍ وَاقْتَرَبَتْ وَالْحَاقَّةُ فِي رَكْعَةٍ وَالطُّورُ وَالذَّارِيَاتُ فِي رَكْعَةٍ وَإِذَا وَقَعَتْ وَإِنْ فِي رَكْعَةٍ وَعَمَّ وَالْمُرْسَلَاتُ فِي رَكْعَةٍ وَالذُّخَانَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ فِي رَكْعَةٍ وَسَأَلَ سَائِلٌ وَالنَّازِعَاتُ فِي رَكْعَةٍ وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَعَبَسَ فِي رَكْعَةٍ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي التَّارِيخِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِتِسْعِ رَكْعَاتٍ فَلَمَّا أَسَنَّ وَثَقَلَ أَوْتَرَ بِسَبْعِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ فَقَرَأَ فِيهِمَا الرَّحْمَنَ وَالْوَاقِعَةَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ حَبَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ فُخِرْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ عَشِيَّةً فَجَلَسَ إِلَيَّ رَهْطٌ فَقُلْتُ لِرَجُلٍ: أَفْرَأَ عَلَيَّ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ حُرُوفًا لَا أَقْرُوهَا فَقُلْتُ: مَنْ أَفْرَأُكَ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: اخْتَلَفْنَا فِي قِرَاءَتِنَا فَإِذَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ حِينَ ذَكَرَ الْإِخْتِلَافَ فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَمْرٌ عَلَيَّ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا عَلَّمَ فَإِنَّمَا هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِالْإِخْتِلَافِ قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَقْرَأُ حُرُوفًا لَا يَقْرُوهُ صَاحِبُهُ.

قال القرطبي: " مكية كلها في قول الحسن و عروة بن الزبير و عكرمة و عطاء و جابر، وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى يسأله من في السماوات والأرض الآية وهي ست وسبعون آية، وقال ابن مسعود و مقاتل هي مدنية كلها والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعه موه؟ فقال ابن مسعود أنا فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه، فأبى ثم قام عند المقام فقال: بسم الله الرحمن الرحيم الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ثم تهادى رافعا بها صوته وقريش في أُنْدَيْتِهَا فَتَأْمَلُوا وَقَالُوا مَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد صلى الله عليه وسلم أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه، وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ سورة الرحمن و مر النفر من الجن فأمنوا به، وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد، قال حديث غريب (وقد حسنه الالباني في السلسلة الصحيحة). وفي هذا دليل على أنها مكية والله أعلم . انتهى

وفي التحرير والتنوير لابن عاشور: وهي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين، وروى جماعة عن ابن عباس أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح بسم الله الرحمن الرحيم. ونسب إلى ابن مسعود أيضا أنها مدنية. وعن ابن عباس: أنها مكية سوى آية منها هي قوله يسأله من في السماوات والأرض كل هو في شأن. والأصح أنها مكية كلها وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل. انتهى.

هذا، وننبه إلى أن ما تقدم من المصادر ينسب إلى ابن مسعود القول بأن هذه السورة مدنية مع أن من رجح منهم أنها مكية استدل بقراءة ابن مسعود لها في مكة.

ومن هنا يحصل إشكال وهو كيف ينسب القول لابن مسعود أنها مدنية وهو الذي قرأها في مكة؟ (وربما انهم يرون ضعف اسناد الرواية في حادثة قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في مكة) والصحيح - كما رجّحه الشيخ عبد الكريم الخضير -: أنها مكية! انظر (شرح الزمزمي ص 56). وقال في التعليق على الجلالين " ومنهم من قال: إن السورة كلها مدنية هذا قول ثالث في المسألة، لكنه قول مرجوح؛ لأنه ثبت أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قرأها ليلة الجن، وهذه بمكة على ما سيأتي من عتاب الصحابة، من عتاب النبي - عليه الصلاة والسلام - لصحابته حينما قرأ عليهم وسكتوا ولم يتكلموا بشيء".

وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر خلافاً لقتادة. قال الإمام السيوطي - رحمه الله -: الجمهور على أنها مكية، وهو الصواب. انظر: الإتيان 1/ 33. وممن اختار القول بأنها مكية ايضاً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم. والبغوي في معالم التنزيل والتلبي في تفسيره الكشف والبيان والواحدي في الوجيز في تفسير الكتاب العزيز والسمعاني في تفسير القرآن والسيوطي في كتابه الإتيان والشوكاني في فتح القدير والآلوسي في روح المعاني وابن سعدي في تيسير الكريم الرحمن. واما من قال إنها مدنية: فالطبري في جامع البيان والسمرقندي في تفسيره بحر العلوم والزمخشري في الكشاف. وممن ذكرهما ولم يرجح: البيضاوي في تفسيره وابن الجوزي في زاد المسير.

قَوْلِهِ تَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن: 2]⁽¹⁾

1- الرحمن في اللغة صفة مشبهة ، مستعملة كصيغة للمبالغة ، وهي أبلغ من الرحيم ، والرحمة في حقنا رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم بالعون ، وتقتضي العطف والمسامحة ، والرحمة تستدعي مرحوما فهي من صفات الأفعال ، والرحمن اسم يختص بالله سبحانه وتعالى ، ولا يجوز إطلاقه في حق غيره ، ومعنى الرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم ، ووسع عليهم رزقهم ، ووسعت رحمته كل شيء ، فالرحمة في اسمه الرحمن شملت رحمته للمؤمنين والكافرين في هذه الدنيا ، ورحمة الله من أعظم صفاته بالنسبة لعباده ، فهي تفتح أبواب الرجاء والأمل وتدفع أبواب الخوف واليأس وتشعر الشخص بالأمان والأمان ، والله عز وجل غلبت رحمته غضبه ، ولم يجعل الله لنا في هذه الدنيا إلا جزءا يسير من واسع رحمته ، به يتراحم الناس ويتعاطفون وكذلك سائر الأحياء في الأرض أجمعون ، كما ثبت عند الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا حَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبِئْسَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ) ، وفي الحديث المتفق عليه من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي ، - وقد سببت وابتعدت عن طفلها - إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ - ليخفف ألم اللبن في ثديها وهي تبحث عن طفلها حتى وجدته فأخذته وضمته وأرضعته يقول عمر - فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ، فَلَمَّا لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا .

أي الله الرحمن علم القرآن ، ويسره للحفظ والفهم ، قال محمد بن السائب الكلبى : (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) عَمَّ الْقُرْآنَ مُحَمَّدًا (تفسير البغوي).

وقال مقاتل بن سليمان : (الرَّحْمَنُ) وذلك أنه لما نزل : (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ) قال كفار مكة : (وما الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) [الفرقان: ٦٠] فَأَنكَرُوا الرَّحْمَنَ ، وقالوا : لا نعرف الرحمن. فأخبر الله تعالى عن نفسه ، وذكر صنعه ليعرف ، فيؤخذ ، فقال : (الرَّحْمَنُ) الذي أنكروه هو الذي (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) وقال الخازن : إن الله عز وجل عدد نعمه على عباده ، فقدم أعظمها نعمة ، وأعلىها رتبة ، وهو (القرآن العزيز) ، لأنه أعظم وحي الله إلى أنبيائه ، وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه ، وأكثره ذكرا ، وأحسنه في أبواب الدين أثرا ، وهو سنن الكتب السماوية ، المنزلة على أفضل البرية وقال الطبري " الرَّحْمَنُ أَيُّهَا النَّاسُ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، فَأَنعَمَ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، إِذْ بَصَّرَكُمْ بِهِ مَا فِيهِ رِضًا رِبَكُمْ ، وَعَرَّفَكُمْ مَا فِيهِ سَخَطُهُ ، لِيُطِيعُوهُ بِاتِّبَاعِكُمْ مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَعَمَلَكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَبِتَجَنُّبِكُمْ مَا يُسَخِطُهُ عَلَيْكُمْ ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ جَزِيلَ ثَوَابِهِ ، وَتَنَجُّوا مِنَ أَلِيمِ عِقَابِهِ " .

وقال الشيخ ابن عثيمين " الرحمن اسم من أسماء الله ، بل هو من أشرف أسمائه وأعظمها ، والعجب أن المشركين ينكرونه ، يقولون : ما الرحمن؟ ولا ندري ما الرحمن؟ حتى عند كتابة الصلح بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية ، النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : (اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : ما نعرف الرحمن؟! ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم -انتبه- ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله .. -وذكر بقية الحديث- قالوا : ما نقبل ، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، ولكن اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فقال الرسول : اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) ثم ذكر الشروط. انظر يا أخي! كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي المصلحة في أمر عظيم ، في عدم كتابة اسم من أسماء الله ، وفي عدم كتابة رسالته مع أنه حق ، ولهذا قال : (إني والله لرسول الله وإن كذبتُموني) تنازل عن اسم من أسماء الله وعن الإقرار برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك من أجل المصلحة" فاسم الرحمن كان مستنكراً عند المشركين ، ومن ثم استنكره سهيل بن عمرو في صلح الحديبية عندما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه في الاتفاقية ، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ علي :

فالرحمة التي دل عليها اسمه الرحمن رحمة عامة بأهل الدنيا كما قال تعالى : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص: 73) ، (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان: 48) ، (فَاظْطُرُّ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الروم: 50) ، ولما كانت الرحمة التي دل عليها اسمه الرحمن رحمة عامة بالخلانق في الدنيا ، فإن الله خص اسمه الرحمن عند ذكر استوائه على عرشه فقال تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه: 5) ، لأنه فوق الكل مؤمنهم وكافرهم ، وحياتهم قائمة بإذنه ، وأرزاقهم مكنونة في غيبه ، ويقانهم رهن مشيئته وأمره ، فلا حول ولا قوة لهم إلا بقوته وحوله ، فهو الملك والكل في مملكته (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) (الفرقان: 59) . وروى الطبراني في الصغير وحسنه الشيخ الألباني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : (ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك ، قل يا معاذ : اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء أرحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك) . (الاسماء الحسنی للرضوانی).

(اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل بن عمرو : لا ندري ما الرحمن؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم .)

وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [الإسراء:110]، وقال سبحانه: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } [الفرقان:60]، فاسم الرحمن كان مستنكراً عند أهل الشرك من أهل مكة، عند مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم. ...

قال ابن عثيمين " والرحمن اسم من أسماء الله، وكل اسم من أسماء الله يتضمن صفة من صفات الله، وليس في أسماء الله ما لا يدل على صفة إطلاقاً، لكن أسماء المخلوقين هل تدل على الصفات؟ لا. قد يقال: هذا (عبد الله) وهو من أكفر عباد الله، ليس فيه شيء من صفات العبودية، وقد يقال: فلان اسمه (صالح) وهو من أفسد عباد الله، لكن أسماء الله لا بد أن تتضمن صفة دل عليها هذا الاسم. ولذلك أنا أقول: كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة متضمنة لاسم، وبهذا نعرف أن الصفات أوسع من الأسماء، إذ قد يوصف الله عز وجل بصفة ولكن لا يشتق منها اسم الله، ولكن كلما وجدت اسماً فإنه متضمن لصفة. مثلاً: الرحمن متضمن للرحمة، السميع للسمع، البصير للبصر، الحكيم للحكمة.. وهلم جرا، ولذلك غلط المعتزلة الذين يقولون أنهم عقلاء، فخالفوا العقل في قولهم: إن أسماء الله مجردة عن الصفات، نقول: كيف يمكن أن يسمى السميع ولا سمع له، هل هذا معقول؟! أبدأ. ليس صحيحاً نقلاً ولا عقلاً. (الرحمن) من رحمة الله عز وجل ما نراه من النعم الكثيرة واندفاع النقم، فكم لله علينا من نعمة!! وَإِنْ تَدْعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا [النحل:18] كلها من آثار رحمته؛ المطر من رحمته، نبات الأرض من رحمته، الأمن من رحمته، الرخاء في العيش من رحمته: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ [النحل:53]. "

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " الرحمن] اسم من الأسماء الحسنی، لا يسمى به غير الرب -جل وعلا-، لا تجوز التسمية به، وأما تسمية مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة هذا من شدة عتوه وعناده وعناد أتباعه، وإلا فالاسم خاص بالله -جل وعلا-، وأما بالنسبة للفظ الجلال (الله) فهذا الله -جل وعلا- قبض الألسنة عن أن يسمى به، وهو خاص به، وهناك أسماء مشتركة مثل الكريم، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، العزيز {قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ} [51] سورة يوسف] والله -جل وعلا- هو العزيز ..

"علم من شاء القرآن" الرحمن الرب -جل وعلا- علم من شاء القرآن، يعني من شاء هدايته، ومن شاء أن يكون من خير هذه الأمة ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) من شاء له التوفيق في أمور دينه ودنياه يعلمه القرآن، بخلاف من صد عن تعلم القرآن، أو تعلمه ولم يقم به، علم من شاء، وبعضهم يقدر المفعول الأول بجبريل، علم جبريل القرآن، وجبريل نزل به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومنهم من يقدر المفعول الأول بدلاً من التعميم من شاء بمحمد -عليه الصلاة والسلام-، علم محمداً القرآن، وهذا رد لقول المشركين {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [سورة النحل] والتعميم يشمل جبريل -عليه السلام-، ومحمد -عليه الصلاة والسلام-، ويشمل من أراد الله به خيراً من هذه الأمة، وفيهم كثرة -ولله الحمد-، سلف هذه الأمة وأئمتها عنايتهم بالقرآن لا تحتاج إلى استدلال، فلا يعرف عالم من علماء المسلمين المتقدمين من ليس له عناية بالقرآن أبداً، نعم قد يوجد في العصور المتأخرة من ينتسب إلى العلم ويهتم بالحديث ويقصر في القرآن، يوجد من يعني بالعقيدة ويقصر في جانب القرآن، يوجد من يعني بالفقه والأحكام من الحلال والحرام ويقصر في القرآن، لكن من علماء الأمة الربانيين الذين يستحقون هذا اللقب هذا لا يعرف فيهم، ولذا في تراجمهم ما عرفنا إلا في ترجمة ابن أبي شيبة قالوا: إنه لا يحفظ القرآن، وأما غيره ما نص عليه، دليل على أن تعلم القرآن وتعليم القرآن قاسم

مشارك للعلماء كلهم من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم، ممن له عناية بالعلم الشرعي، وعلم من شاء القرآن، ف (عَلَّمَ) يتعدى إلى مفعولين، والقرآن يطلق ويراد به المصدر القراءة، ويطلق ويراد به اسم المفعول أي المقروء، وإذا تعلم القراءة تعلم المقروء؛ لأن القرآن كما يطلق على ما بين الدفتين من كلام الله -جل- علا- يطلق أيضاً على القراءة " .

وقال الشيخ مصطفى العدوي " يثني الله سبحانه وتعالى على نفسه، ويمدح الله سبحانه وتعالى نفسه، ليس ذلك للبشر، فليس لنا أن نمدح أنفسنا، ولا أن ننثي عليها، إلا إذا دعت ضرورة لذلك، كما قال يوسف الصديق عليه السلام: { أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف:55]، وكما قال عثمان رضي الله عنه: (أناشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أناشدكم الله، هل تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قالوا: اللهم نعم) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار: (ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: اللهم نعم، قال: ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي؟ قالوا: اللهم نعم) إلى آخر الحديث، فالثناء على النفس الأصل أنه ممنوع إلا إذا دعت حاجة إليه، لكن ربنا سبحانه وتعالى يثني على نفسه، فهو المنان سبحانه، فيقول سبحانه: { الرَّحْمَنُ }

[الرحمن:1]، ثم يعدد نعمه على خلقه، فيقول سبحانه في بداية هذه النعم، وأوائل هذه النعم: { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } [الرحمن:2]، فهي أكبر نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها علينا، هي تعليمنا القرآن، ولولا تعليمنا القرآن لكنا من أهل النيران والعياذ بالله! وأي خسارة بعد هذا الخسارة أن يودع الشخص في سجين والعياذ بالله؟! فأول نعمة ذكرت في هذه السورة الكريمة -التي يطلق عليها بعض العلماء: سورة النعم- هي نعمة تعليم القرآن، ففي تعليم القرآن فضائل ذكر بعضها في كتاب الله.

أما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، وقال صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين).

فيقول سبحانه: { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } [الرحمن:2] فهو سبحانه علم الطب وعلم الهندسة وعلم الزراعة والصناعة والحرف، ولكن لم يكن الامتتان الأول بقوله: علم الطب، ولا علم الزراعة، ولا علم الهندسة، إنما صدر بقوله تعالى: { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } [الرحمن:2]، وبضمنية حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، وبضمنية قوله تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت:33] تظهر فضل تعلم القرآن " .

[خلق الإنسان] أي خلق الإنسان السميع البصير الناطق ، والمراد بالإنسان الجنس.

قال أبو العالية الرِّيَاحِيّ والحسن البصري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ) اسم جنس، وأراد به: جميع الناس " (تفسير البغوي) .

وقال عبد الله بن عباس: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ) يعني: آدم (تفسير الثعلبي والبغوي). وبه قال قتادة ومقاتل وابن جريج.

وقال ابن كيسان: الْإِنْسَانُ: محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري "والقولان كلاهما (يعني الاول والثاني) غير بعيدين من الصواب؛ لاحتمال ظاهر الكلام إياهما " .

وقال ابن عطية عن القولين الثاني والثالث " وهذا التخصيص لا دليل عليه " .

قال ابن عثيمين " وبدأ الله تعالى بتعليم القرآن قبل خلق الإنسان إشارة إلى أن نعمة الله علينا بتعليم القرآن أشد وأبلغ من نعمته بخلق الإنسان وإلا فمن المعلوم أن خلق الإنسان سابق على تعليم القرآن، لكن لما كان تعليم القرآن أعظم منة من الله - عز وجل - على العبد قدمه على خلقه " .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " خلقه أوجده من العدم، والمراد بالإنسان "الجنس" جنس الإنسان، من آدم -عليه السلام- إلى آخر مخلوق من هذا الجنس، الله -جل وعلا- هو خالقه، وأما ما يزرعه البشر من أنهم يخلقون نعم يفعلون ويصنعون، والله -جل وعلا- هو خالقهم، وخالق ما يعملون، خالق أفعالهم، ويزعمون أنهم يخلقون إنسان يسمونه آلي، لكنه في الحقيقة ليس بإنسان، فالخالق للإنسان هو الله -جل وعلا-، والإنسان هو الذي يأنس ويؤنس به، فهذه الآلة التي يخلقونها ويزعمون أنها إنسان آلي لا تأنس ولا يؤنس بها جماد، ولن يستطيعوا أن يخلقوا ما فيه روح، ولو اجتمعوا على ذلك، وتضافروا عليه، ولن يستطيعوا أن يخلقوا أقل المخلوقات شأناً وهو الذباب، ولو اجتمعوا له، يعني لو اجتمعت قوى الشرق والغرب ما استطاعوا أن يخلقوا ذباباً، كما قال الله -جل وعلا- في آخر سورة الحج "

قوله تعالى { علمه البيان }

قولان: الأول: أنه بيان الحرام والحلال .

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله { خلق الإنسان علمه البيان } قال: آدم { علمه البيان } قال: بين له سبيل الهدى وسبيل الضلالة.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله { الرّحمن علم القرآن } قال: نعمة الله عظيمة { خلق الإنسان } قال: آدم { علمه البيان } قال: علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ليحتج بذلك عليه والله الحجة على عباده.

الثاني: أنه الكلام والمنطق.

قال أبو العالية الرياحي والحسن البصري: { علمه البيان } النطق والكتابة والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له. (تفسير الثعلبي والبغوي).

وقال محمد بن كعب القرظي: { علمه البيان } ما يقول وما يقال له (تفسير الثعلبي).

وقال إسماعيل السدي: { علمه البيان } علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به (تفسير الثعلبي والبغوي).

وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره: { علمه البيان } يعني: بيان كل شيء .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- قال: { علمه البيان } البيان: الكلام (تفسير الطبري).

قال الشيخ عبدالكريم الخضير " أي جنس الإنسان { علمه البيان } [(4) سورة الرحمن] والمراد

بالبيان " النطق " ما يبين به عما في ضميره، النطق هذا هو الذي يميز الإنسان عن غيره من

المخلوقات، يشارك كثيراً من الحيوانات النامية في الحياة والنمو لكنه ينفصل عنهم، وينفرد عنهم

بالنطق، فإذا قيل: حيوان ناطق، لا يدخل فيه غير الإنسان، هذا وصف كاشف مخرج لجميع أفراد ما

ينطبق عليه الحيوان، فإذا قيل: ناطق، انتهى، خرج ما عدا الإنسان، ولذلك قال: { علمه البيان } [(4)

سورة الرحمن] " النطق " فهو الذي يستطيع أن يبين عما في نفسه، وبقية الحيوانات عجموات،

وجاء في الحديث: ((العجماء جبار)) يعني جنابة العجماء -الدابة- جبار؛ لأنها عجماء لا تبين عن

نفسها، عما في نفسها فهي عجماء، من ذلك سمي الأعاجم والعجم هذا الذين لا ينطقون بالعربية،

فباعتبار أن العربية هي لغة الكتاب والسنة فكان ما عداها لا قيمة له، لا يستطيع أن يبين عما في

نفسه بالنسبة لهذه اللغة، ولذلك قوبلت الأعجمية بالعربي { أَعْجَمِي وَعَرَبِي } [(44) سورة فصلت] .

ورجح الطبري العموم فقال " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا

بِهِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَعَايِشِ وَالْمَنْطِقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا بِهِ

الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ تَنَاهُوهُ لَمْ يُخَصَّصْ بِخَبْرِهِ ذَلِكَ، أَنَّهُ عَلَّمَهُ مِنَ الْبَيَانِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، بَلْ عَمَّ

فَقَالَ: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، فَهُوَ كَمَا عَمَّ جَلَّ تَنَاهُوهُ " .

وقال ابن عطية " :و: البَيَانُ النطق والفهم والإبانة عن ذلك بقول قاله ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فضل الإنسان من سائر الحيوان، وقال قتادة: هو بيان الحلال والحرام والشرائع، وهذا جزء من «البيان» العام".

ورجح ابن كثير مستنداً إلى السياق القول الاول، وعلل ذلك بقوله: "لأنّ السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها".

أي ألهمه النطق الذي يستطيع به أن يبين عن مقاصده ورغباته، ويتميز به عن سائر الحيوان، قال البيضاوي: والمقصود تعداد ما أنعم الله به على نوع الإنسان، حثاً على شكره، وتنبهاً على تقصيرهم فيه، وإنما قدم (تعليم القرآن) على (خلق الإنسان)، لأنه أصل النعم الدينية، فقدم الأهم. وقال ابو حيان " ولما عدّد نعمه تعالى، بدأ من نعمه بما هو أعلى رتبها، وهو تعليم القرآن، إذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به.

ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم، ذكره بعد في قوله: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ}، ليعلم أنه المقصود بالتعليم. ولما كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن، كان كالسبب في خلقه تقدّم على خلقه. ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير، والذي به يمكن قبول التعليم، وهو البيان. ألا ترى أن الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيئاً مما يدرك بالنطق؟ وعلم متعديّة إلى اثنين، حذف أولهما لدلالة المعنى عليه، وهو جبريل، أو محمد عليهما الصلاة والسلام، أو الإنسان، أقوال. وتوهم أبو عبد الله الرازي أن المحذوف هو المفعول الثاني، قال: فإن قيل: لم ترك المفعول الثاني؟ وأجاب بأن النعمة في التعليم، لا في تعليم شخص دون شخص، كما يقال: فلان يطعم الطعام، إشارة إلى كرمه، ولا يبين من يطعمه. انتهى.

...ومن قال: الإنسان آدم، فالبيان أسماء كل شيء، أو التكلم بلغات كثيرة أفضلها العربية، أو الكلام بعد أن خلقه، أو علم الدنيا والآخرة، أو الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء".

وقال ابن عثيمين " {البيان}، أي: ما يبين به عما في قلبه، وأيضاً ما يستبين به عند المخاطبة، فهنا بيانان: البيان الأول من المتكلم، والبيان الثاني من المخاطب، فالبيان من المتكلم يعني التعبير عما في قلبه، ويكون باللسان نطقاً، ويكون بالبنان كتابة، فعندما يكون في قلبك شيء تريد أن تخبر به، تارة تخبر به بالنطق، وتارة بالكتابة، كلاهما داخل في قوله {علمه البيان}، وأيضاً {علمه البيان} كيف يستبين الشيء وذلك بالنسبة للمخاطب يعلم ويعرف وما يقول صاحبه، ولو شاء الله تعالى لأسمع المخاطب الصوت دون أن يفهم المعنى فالبيان سواء من المتكلم، أو من المخاطب كلاهما منة من الله - عز وجل - فهذه ثلاث نعم: {علم القرءان خلق الإنسان علمه البيان} ".

وقال العدوي " قال قائل: إن الله سبحانه وتعالى امتن علينا بتعليمنا البيان بنوعيه كما ذكرتم، وكما أسلفنا ثم أنواع أخر من أنواع البيان كالإشارات وكانظرات، لكنها ليست بتلك الشهرة، إذ كتاب الله يذكر الغالب الأشهر.

فإذا قال قائل: إن الله امتن علينا بتعليمنا البيان، كما امتن علي عيسى صلى الله عليه وسلم بقوله: { ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } [المائدة:110]، فإذا كانت هذه نعماً فسؤال يطرح: لم لم يعلمها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ بل قال الله في شأنه: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ }

[الأعراف:157]؟! فلماذا لم يمتن الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بتعليمه البيان بالقلم؟! العلة من ذلك ظهرت في قوله تعالى: { وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ

الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ {
العنكبوت: 48-49}.

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتعلم البيان بالقلم لعله ألا وهي: دفع الشكوك عن الذين كانوا يزعمون أن بشراً يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نص على ذلك في كتاب الله بقول الله سبحانه: { وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل: 103] ."

وقال الطاهر بن عاشور " وفيه من التبكيث ما علمته آتفاً ، ووجهه أنهم لم يشكروه على نعمة البيان إذ صرفوا جزءاً كبيراً من بيانهم فيما يلهيهم عن أفراد الله بالعبادة وفيما ينازعون به من يدعوهم إلى الهدى "

وقال الرازي " ما الفرق بين هذه السورة وسورة العلق ، حيث قال هناك : { أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } (العلق : 1) ثم قال : { وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } (العلق : 3 ، 4) فقدم الخلق على التعليم ؟

نقول : في تلك السورة لم يصرح بتعليم القرآن فهو كالتعليم الذي ذكره في هذه السورة بقوله : { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } بعد قوله : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ } ."

قوله تعالى { الشمس والقمر بحسبان }

أقوال : الأول : أنهما بحسبان، ومنازل لهما يجريان ولا يعدوانها .

أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وألحاكم وصححه عن ابن عباس في قوله { الشمس والقمر بحسبان } قال: بحساب ومنازل يرسلان وأخرج عبد بن حميد عن الربيع بن أنس رضي الله عنه { الشمس والقمر بحسبان } قال: يجريان بحساب

وقال ابن زيد: لولا الليل والنهار لم يدرك أحدٌ كيف يحسب شيئاً يريد من مقادير الزمان.

الثاني : أنهما يجريان بقدر .

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي مالك رضي الله عنه { الشمس والقمر بحسبان } قال: عليهما حساب وأجل كأجل الناس فإذا جاء أجلهما هلكا وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك رضي الله عنه { الشمس والقمر بحسبان } قال: بقدر يجريان.

الثالث : أنهما يدوران في مثل قطب الرحي.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه { الشمس والقمر بحسبان } قال: يدوران في مثل قطب الرحي.

وقد رجح ابن جرير مستنداً إلى اللغة -القول الأول، فقال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل؛ لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حساباً وحسباناً، مثل قولهم: كفرته كفراناً، وغفرته غفراناً، وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب

وعلق ابن تيمية على القول الثالث، فقال: " فهذا مما لا خلاف فيه، بل قد دل الكتاب والسنة وأجمع علماء الأمة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب من أن الأفلاك مستديرة لا مسطحة".

وقال ابو حيان " وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ تَعْلِيمِهِ الْبَيَانَ، ذَكَرَ مَا أَمْتَنَ بِهِ مِنْ وُجُودِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ لِلْإِنْسَانِ، إِذْ هُمَا يَجْرِيَانِ عَلَى حِسَابِ مَعْلُومٍ وَتَقْدِيرٍ سَوِيٍّ فِي بُرُوجِهِمَا وَمَنَازِلِهِمَا .

وَالْحُسْبَانُ مَصْدَرٌ كَالْغُفْرَانِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْحِسَابِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: جَمَعَ حِسَابٌ، كَشَهَابٍ وَشُهْبَانٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو مَالِكٍ وَقَتَادَةُ: لَهْمَا فِي طُلُوعِهِمَا وَعُرُوبِهِمَا وَقَطْعِهِمَا الْبُرُوجَ، وَعَبَّرَ ذَلِكَ حُسْبَانَاتٍ شَتَّى.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَوْلَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَدْرُ أَحَدٌ كَيْفَ يَحْسِبُ شَيْئًا يُرِيدُ مِنْ مَقَادِيرِ الزَّمَانِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْحُسْبَانُ: الْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرُ، شَبَّهَهُ بِحُسْبَانِ الرَّحَى، وَهُوَ الْعُودُ الْمُسْتَدِيرُ الَّذِي بِاسْتِدَارَتِهِ تَسْتَدِيرُ الْمِطْحَنَةُ " .

وقال ابن كثير : أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن ، لا يختلف ولا يضطرب.

وقال ابن عثيمين " أي: بحساب دقيق معلوم متقن منتظم أشد الانتظام، يجريان كما أمرهما الله - عز وجل - ولم تتغير الشمس والقمر منذ خلقهما الله عز وجل إلى أن يفنيهما يسيران على خط واحد، كما أمرهما الله، وهذا دليل على كمال قدرة الله تعالى، وكمال سلطانه، وكمال علمه أن تكون هذه الأجرام العظيمة تسير سيراً منظماً، لا تتغير على مدى السنين الطوال " .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " الشمس تجري لمستقر لها والقمر كذلك يجري، وكل في فلكه، فلا يتقدم أحدهما على الآخر بنظام بديع مرتب، لا يختل إلا إذا اختل حال العالم { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } [(40) سورة يس] أمور مرتبة بدقة عجيبة متتابعة تتابعاً بديعاً، فالشمس آية النهار، والقمر آية الليل، محيت آية الليل فصار فيه الظلام، وبقيت آية النهار مبصرة فصار فيها الضوء والإشراق، ولذا يقولون: في الصباح ما يعني عن المصباح، إذا طلع الصباح انتهى، وفي الليالي المقمرة شيء من الضوء لكنه إشراق بدون إحراق، ضوء ضعيف بخلاف ضوء الشمس، وهما آيتان من آيات الله، أجراهما على هذا النظام البديع، ولا يتغيران ولا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، بل هما آيتان يخوف الله بهما عباده، وفاندتهما والحكمة من خلقهما لا تخفى على أحد، كما هي حكمة التغيرات بين الليل والنهار، يعني لو تصورنا أن الكون كله مظلم، كله ليل سرمدي، أو نهار سرمدي اختل النظام، لا يتم المعاش على هذه الأرض على الوجه المطلوب، لا تدري اليوم من الأمس من الغد، معاملات الناس كلهم وأمورهم كلها تضطرب، لكن جعل هاتين الآيتين مما يتميز به الليل والنهار " .

وَقَوْلُهُ: { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } فِي النِّجْمِ قَوْلَانِ :

أحدهما : نجم السماء ، وهو موحد والمراد به جميع النجوم.

عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح - (والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)، قال: النَّجْمُ نَجْمُ السَّمَاءِ،

والشجر الشجرة، يسجد بجرّة وعشية (تفسير مجاهد وابن جرير). ومثله عن قتادة

الثاني : أن النجم النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها ، ليس له ساق ، والشجر ما كان على ساق ، قاله ابن عباس .

عن عبد الله بن عباس -من طريق علي - (والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)، قال: النَّجْمُ: ما انبسط على

الأرض. والشجر: ما كان على ساق (تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم). ومثله عن سعيد بن جبيرة وأبي

رزين (مسعود بن مالك الأسدي) وإسماعيل السديّ ومحمد بن السائب الكلبي ومقاتل بن سليمان

وسفيان الثوري.

وهو ما رجحه ابن جرير فقال " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت. لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه؛ أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره ".

ورجح ابن كثير الاول فقال " وهذا القول هو الأظهر -والله أعلم-؛ لقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ [الحج: ١٨] ".

وهذا لا يمكن ان يراد به الا النجم الذي في السماء والقرآن يفسر بعضه بعضا ولم يرد في القرآن موضع يُذكر في سجود النبات بالمعنى الثاني .

وفي سجودهما خمسة أقاويل :

أحدها : هو سجود ظلهما ، قاله الضحاك وسعيد بن جبير وابي رزين .

الثاني : هو ما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع ، قاله ابن بحر .فسر السجود بامر معنوي .

الثالث : أن سجودهما دوران الظل معهما ، كما قال تعالى : { يتفياً ظلاله } ، قاله الزجاج .

الرابع : أن سجود النجم أقوله ، وسجود الشجر إيمان الإجتناء لثمارها .

الخامس : أن سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان معها إذا انكسر الفيء ، قاله الفراء .

وقال الصابوني : " أي والنجم والشجر ينقادان للرحمن فيما يريد منهما ، هذا بالتنقل بالبروج ، وذلك بإخراج الثمار ((الأظهر أن المراد بالنجم هو النجم الذي في السماء ، وهو قول مجاهد واختيار ابن كثير ، لأنه هو المعروف في اللغة ، وروي عن ابن عباس أن المراد بالنجم هو كل نبات ينجم من الأرض وليس له ساق ، لمقابلته بالشجر الذي له ساق ، واختار هذا القول ابن جرير ، والأول أظهر ، والله أعلم " .

وقال ابن عثيمين " النجم اسم جنس، والمراد به النجوم تسجد لله - عز وجل - فهذه النجوم العليا التي نشاهدها في السماء تسجد لله - عز وجل - سجوداً حقيقياً، لكننا لا نعلم كيفيته، لأن هذا من الأمور التي لا تدركها العقول، والشجر يسجد لله عز وجل سجوداً حقيقياً، لكن لا ندري كيف ذلك، والله على كل شيء قدير، وانظر إلى الأشجار إذا طلعت الشمس تتجه أوراقها إلى الشمس تشاهدها بعينك، وكلما ارتفعت، ارتفعت الأشجار، وإذا مالت للغروب مالت، لكن هذا ليس هو السجود، إنما السجود حقيقة لا يُعلم، كما قال - عز وجل - : { تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً } فالنجوم كلها تسجد لله، والأشجار كلها تسجد لله - عز وجل - قال الله تعالى: { ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس } ويقابله، { وكثير حق عليه العذاب } فلا يسجد - والعياذ بالله " .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " وسجود كل شيء بحسبه؛ لأنه قد يقول قائل: أنا والله ما رأيت عمري كله أنا فلاح منذ سبعين سنة ما رأيت شجرة ساجدة، لكن أنت لا تحس بمثل هذا، لا تحس بمثل هذا، لكن { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } [سورة الإسراء] تسبح تذكّر الله على حسب حالها، إما بلسان المقال والقدرة الإلهية سالحة لمثل هذا، بل أعظم منه { قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [سورة فصلت] أو بلسان الحال بعدم امتناعها مما يطلب منها، ولذا يقول: { يَسْجُدَانِ } [سورة الرحمن] " يخضعان لما يراد منهما " هل تمتنع الشجرة من الإثمار المراد منها؟ نعم قد يوجد قد لا يوجد

السبب، وقد يوجد السبب ويوجد مانع، لكن إذا وجد السبب وانتفى المانع فالأثر حاصل بإذن الله -جل وعلا-، فيخضعان لما يراد منهما، يراد من الشجر الثمرة، يراد من الشجرة الظل، يراد من النجم كذلك، يراد من النجم على القول بأنه نجوم السماء ما خلقت من أجله من الحكم الثلاث المعروفة: زينة للسماء، وهداية للناس، ورجوم للشياطين، هل يؤمر النجم بأن يرمم شيطان فيتأخر؟ لا ".
وقال العدوي بعد ترجيحه ان المراد بالنجم القول الثاني " وأصل تسمية النجم مأخوذة من النجوم وهو الظهور، نجم النبات عن نزول المطر، أي: ظهر بسبب نزول المطر، نجمت هذه المشكلة عن شيء، أو نجم هذا الشيء عن مشكلة حدثت أي ظهر.

أثبتت الآية الكريمة أن الشجر يسجد، وأن النجم يسجد صراحة، فالله يقول: { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } [الرحمن:6]، وقد قال الله جل ذكره: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ } [الحج:18]، وقال سبحانه: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء:44].

وقد حن الجذع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وثم أدلة أخر في الجمادات وغيرها قد تقدمت، قال صلوات الله وسلامه عليه: (إني أعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ، إني أعرفه الآن).
وقال الله سبحانه في شأن الأحجار: { وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة:74].

قال الله سبحانه: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ } [الرحمن:7]
للسلف في المراد بالميزان قولان:
الأول: أنه العدل .

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ووضع الميزان قال : العدل.
الثاني: أنه الميزان المعروف بين الناس.

قال الحسن البصري والضحاك بن مزاحم وقتادة بن دعامة: (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) هو الذي يُوزَنُ به لينتصف به الناس بعضهم من بعض.(تفسير الثعلبي والبغوي). ففسر مرة بالعدل كما قال تعالى { وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط } ومرة فسّر بآلته التي يتحقق بها وهو الميزان المعروف ويمكن ان يراد بالآية كلا الامرين العدل وآلته وهو اختيار ابن القيم .
قال الطبري " يَقُولُ: وَوَضَعَ الْعَدْلَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» وَالْخَفْضُ وَالْوَضْعُ: مُتَقَارِبَا الْمَعْنَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ "

قال ابو حيان " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا: أَي خَلَقَهَا مَرْفُوعَةً، حَيْثُ جَعَلَهَا مَصْدَرَ قَضَايَاهُ وَمَسْكَنَ مَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْوَحْيِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَنَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى عَظَمِ شَأْنِهِ وَمَلَكِهِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: وَالسَّمَاءَ، بِالنُّصْبِ عَلَى الْإِشْتِعَالِ، رُوعِي مُشَاكَلَةَ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَلِيهِ وَهِيَ يَسْجُدَانِ.

وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: وَالسَّمَاءَ بِالرَّفْعِ، رَاعِي مُشَاكَلَةَ الْجُمْلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، فِعْلًا مَاضِيًا نَاصِبًا الْمِيزَانَ، أَي أَفْرَهُ وَأَثْبَتَهُ. وَقَرَأَ إِبْرَاهِيمُ: وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، بِالْخَفْضِ وَاسْتِكَانِ الضَّادِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كُلُّ مَا يُوزَنُ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَتُعْرَفُ مَقَادِيرُهَا، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْأَلَاتُ، قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، جَعَلَهُ تَعَالَى حَاكِمًا بِالسُّوِيَّةِ فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالطَّبْرِيُّ وَالْأَكْثَرُونَ: الْمِيزَانُ: الْعَدْلُ، وَتَكُونُ الْأَلَاتُ مِنْ بَعْضِ مَا يَنْدَرِجُ فِي الْعَدْلِ "

قال ابن عطية " والميزان المعروف جزء من «الميزان» الذي يعبر به عن العدل. ويظهر عندي أن قوله: وَضَعَ الْمِيزَانَ يريد به العدل " .

أي والسماء خلقها عالية محكمة البناء ، رفيعة القدر والشأن ، وأمر بالميزان عند الأخذ والإعطاء لينال الإنسان حقه وأفيا

قوله تعالى { ألا تطغوا في الميزان } أي: أن لا تجوروا وأن لا تزيدوا، فالطغيان تجاوز الحد بصفة عامة.

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله { ألا تطغوا في الميزان } قال: اعْدِلْ يَا ابْنَ آدَمَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَعْدَلَ عَلَيْكَ وَأَوْفِ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يُؤْفَى لَكَ فَإِنَّ الْعَدْلَ يَصْلِحُ النَّاسَ . قال مقاتل بن سليمان : (أَلَا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ) ، يعني: أَلَا تَظْلِمُوا فِي الْمِيزَانِ (تفسير مقاتل). وقال ابن الجوزي " اذكر الزجاج في أن وجهين أحدهما معنى اللام والمعنى لئلا تطغوا والثاني أنها للتفسير فتكون لا للنهي والمعنى أي لا تطغوا أي لا تجاوزوا العدل " .

وقال ابو حيان " أَيْ لِأَنَّ لَا تَطْغُوا ، فَتَطْغُوا مَنْصُوبٌ بِأَنْ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : أَوْ هِيَ أَنْ الْمُفْسِّرَةَ . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ أَنْ مَفْسِّرَةً ، فَيَكُونُ تَطْغُوا جَزْمًا بِالنَّهْيِ . انْتَهَى ، وَلَا يَجُوزُ مَا قَالَاهُ مِنْ أَنْ أَنْ مَفْسِّرَةً ، لِأَنَّهُ فَاتٌ أَحَدُ شَرْطَيْهَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَا قَبْلَهَا جُمْلَةً فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ " .

وقال ابن عطية " وقوله: أَلَا تَطْغُوا نهي عن التعمد الذي هو طغيان بالميزان. وأما ما لا يقدر البشر عليه من التحرير بالميزان فذلك موضوع عن الناس " .

فقوله تعالى { وأقيموا الوزن بالقسط } أي اجعلوا الوزن مستقيما ، بالعدل والإنصاف { ولا تخسروا الميزان } أي لا تطففوا الوزن ولا تنقصوه ، كقوله تعالى : { ويل للمطففين }

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يزن قد أرجح فقال: أقم اللسان كما قال الله { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ }

وقال أبو الدرداء : (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) أقيموا لسان الميزان بالعدل (تفسير الثعلبي والبغوي).

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ } قال: اللسان

واخرج ابن جرير عن أبي المغيرة قال: سمعت ابن عباس، يقول في سوق المدينة: " يا معشر الموالي إنكم قد بليتتم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم: المكيال، والميزان " .

واخرج أيضا عن مغيرة قال: رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح، فقال: " أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن: 9] " .

واخرج أيضا قال ابن زيد، في قوله: { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن: 9] قال: «نَقْصُهُ، إِذَا نَقَصَهُ فَقَدْ خَسِرَهُ تَخْسِيرُهُ نَقْصُهُ»

قال القرطبي " (ولا تحسروا الميزان) ولا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن، وهذا كقوله: (ولا تنقصوا المكيال والميزان) " .

قال ابو حيان " قَرَأَ الْجُمْهُورُ: وَلَا تُخْسِرُوا، مِنْ أَخْسَرَ: أَيِ أَفْسَدَ وَنَقَصَ، كَقَوْلِهِ: { وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ

وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } أَيِ يَنْقُصُونَ. وَبِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: تَخَسَّرُ بَفَتْحِ النَّاءِ، يُقَالُ: خَسِرَ

يَخْسِرُ، وَأَخْسَرَ يُخْسِرُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كَجَبَرَ وَأَجْبَرَ. وَحَكَى ابْنُ جَنِّيٍّ وَصَاحِبُ اللُّوَامِحِ، عَنْ بِلَالٍ: فَتَحَ

النَّاءِ وَالسِّينِ مُضَارِعُ خَسِرَ بِكَسْرِ السِّينِ، وَخَرَجَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ عَلَى أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: فِي الْمِيزَانِ،

فَحَذَفَ الْجَارَ وَنَصَبَ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّخْرِيجِ. أَلَا تَرَى أَنْ خَسِرَ جَاءَ مُتَعَدِّيًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ } ، { وَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ } وَقَرِءَ أَيْضًا: تَخَسَّرُوا، بِفَتْحِ النَّاءِ وَضَمِّ السِّينِ. لِمَا مَنَعَ مِنَ

الزِّيَادَةِ، وَهِيَ الطَّغْيَانُ، نَهَى عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِي هُوَ نَقْصَانٌ، وَكَرَّرَ لَفْظَ الْمِيزَانِ، تَشْدِيدًا لِلتَّوْصِيَةِ بِهِ وَتَقْوِيَةً لِلأَمْرِ بِاسْتِعْمَالِهِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ " .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " والوزن كما يكون بالمحسوسات يكون أيضاً في المعاني، والعدل كما يطلب في وزن المحسوسات يطلب أيضاً في وزن المعاني، لا بد من العدل، العلماء حينما تكلموا في الرواة جرحاً وتعديلاً اهتموا بمسألة العدل، لا يجوز أن يجرح الراوي بأكثر مما فيه، كما أنه لا يجوز أن يعطى من الأوصاف والثناء ما يغزر بقبول خبره، وهو مما لا يقبل خبره، يعني لا بد أن يوزن الرجال بالقسط، وأعني بالرجال من يحتاج إلى وزنهم، من يحتاج إلى وزنهم، السنة لا تثبت إلا بالأسانيد، والأسانيد مشتملة على رواة، وكل راوٍ من الرواة له منزلة عند أهل العلم، لا يجوز أن ينزل عنها بحيث يرد خبره، ولا يجوز أن يرفع من شأنه بحيث يقبل خبره، وهو في الأصل لا يقبل خبره، لا بد من العدل، لا بد من الإنصاف، تجد بعض الناس إذا تكلم في بعض الأشخاص نسي الحسنات، وبعضهم إذا تكلم نسي السيئات، أولاً: الكلام في الناس وفي أعراضهم ينبغي أن يتقيه، أن يتقيه المسلم المتحري الحريص على براءة ذمته إلا بقدر الحاجة، يعني إن احتج إليه، جاء شخص يسألك يستشيرك يقول: تقدم لنا فلان لخطبة البنت مثلاً تشير عليه، إذا كان فيه ما يمدح بسببه تمدح، وإذا كان فيه ما يذم بسببه تذم، ويكون هدفك بذل النصح لصاحبك، لا يكون هدفك التفكه بعرض فلان أو إعلان، ويكون بقدر الحاجة، وما زاد عن الحاجة يعود إلى الأصل وهو المنع، وأعراض المسلمين حفرة من حفر النار، يقول ابن دقيق العيد: "وقف على شفيرها العلماء والحكام" فالعلماء يحتاجون إلى الكلام في الناس، الحكام يحتاجون إلى الكلام في الناس، فلا تجوز الزيادة عن الحاجة، وأن يكون الكلام بالعدل بالقسط، لا يزداد في حق فلان ولا .. (ينقص) ؛ لأنه لو زدت في حقه ورفعته فوق شأنه إن كان راوياً جعلت الناس يقبلون خبره، وهو في الحقيقة خبره غير مقبول، هذا ضرر عظيم، وإن نقصت من شأنه جعلت الناس يردون حديثه، وقد يكون حديثه مقبول، فأنت غررت بهم، وإن كان مما يسأل عنه من أجل ولاية ونحوها إن رفعت من شأنه غششت به الأمة، وإن حطت من شأنه ظلّمته وظلمت غيره، فلا بد من العدل، والإنسان ما دام في عافية ما علق هذا الأمر به ولا أنيط به فعليه أن يحرص على إبراء ذمته؛ لأن العدل في مثل هذه الأمور فيه صعوبة، يعني إذا سئلت عن شخص قد تمدحه اليوم وتذمه غداً، إما أن يكون قد ظهر لك من أمره ما لم يظهر، أو يكون تعامله معك في هذا اليوم تغير، مع أن العدل مطلوب سواءً تعامل معك على وجه حسن ترضاه ويروق لك، أو خلاف ذلك، فنعتني بهذا ونهتّم به، والإنسان لا يأتي يوم القيامة مفلساً، يجمع الحسنات من الصيام والصلاة والزكاة والبر وغيرها وطلب العلم والتعليم ثم بعد ذلك يأتي يوزع هذه الحسنات على غيره، فيكون مفلساً، كما جاء في الحديث الصحيح، يحرص على أن يحافظ على ما اكتسبه، والوزن مثل ما ذكرنا كما يكون في المحسوسات يكون أيضاً في المعنويات، فلا بد من العدل، ولا بد من القسط".

قوله تعالى { والأرض وضعها للأنام }

وفي الأنام ثلاثة اقوال

الاول : الانام الناس.

أخرج الفرّيابيّ وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله { والأرض وضعها للأنام } قال: للناس.

قال الطاهر بن عاشور " وسياق الآية يرجح أن المراد به الإنسان ، لأنه في مقام الامتتان والاعتناء بالبشر كقوله : { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً } [البقرة : 29] ".
الثاني : كل ما فيه روح .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما { والأرض وضعها للأنام } قال: للخلق

وَأَخْرَجَ الطَّسْتِي وَالطَّبْرَانِيَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ قَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ {وَوَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ} قَالَ: الْأَنْعَامُ الْخَلْقُ وَهُمْ أَلْفُ أُمَّةٍ سِتِّمِائَةٍ فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي الْبَرِّ قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبَ ذَلِكَ قَالَ: نَعَمْ أَمَا سَمِعْتَ لِبَيْدَاءَ وَهُوَ يَقُولُ: فَإِنْ تَسَأَلِينَا مِمَّنْ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنْعَامِ الْمَسْخَرِ وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ {وَوَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ} قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ {وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ} قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ".

وقال ابن كثير: "أي: كما رفع السماء ووضعت الأرض ومهدتها، وأرسلها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الأنعام، وهم: الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم، في سائر أقطارها وأرجائها. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنعام: الخلق".

الثالث: الانس والجن. أخرج ابن جرير وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه في قوله {وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ} قَالَ: لِلْخَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

قال أبو حيان "قرأ الجمهور: وَالْأَرْضُ بِالنَّصْبِ وَأَبُو السَّمَّالِ: بِالرَّفْعِ". وقال الرازي: "وقوله تعالى: {لِلْأَنْعَامِ} يدل على الاختصاص، فإن اللام لعود النفع... فقال {لِلْأَنْعَامِ} لكثرة انتفاع الأنعام بها، إذا قلنا إن الأنعام هو الإنسان، وإن قلنا إنه الخلق فالخلق يذكر ويراد به الإنسان في كثير من المواضع".

وقال الشيخ ابن عثيمين "يعني: أن من نعم الله - عز وجل - أن الله وضع الأرض للأنعام أي: أنزلها بالنسبة للسماء، والأنعام هم الخلق، ففيها الإنس، وفيها الجن، وفيها الملائكة، تنزل بأمر الله - عز وجل - من السماء، وإن كان مقر الملائكة في السماء لكن ينزلون إلى الأرض، مثل الملكين اللذين عن اليمين وعن الشمال قعيد، والملائكة الذين يحفظون من أمر الله المعقبات، والملائكة الذين ينزلون في ليلة القدر وغير ذلك".

وقوله: {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن: 11] {فِيهَا فَاكِهَةٌ} ، يعني: أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: يعني ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، قال الطاهر بن عاشور "والفاكهة: اسم لما يوكل تفكهاً لا قوتاً مشتقة من فكه كفرح، إذا طابت نفسه بالحديث والضحك، قال تعالى: {فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: 65] لأن أكل ما يلد لأكل وليس بضروري له إنما يكون في حال الانبساط.

والفاكهة: مثل الثمار والبقول من لوز وجوز وفستق.

وعطف على الفاكهة النخل وهو شجر التمر، وهو أهم شجر الفاكهة عند العرب الذين نزل القرآن فيهم، وهو يثمر أصنافاً من الفاكهة من رطب وبسر ومن تمر وهو فاكهة وقوت".

وعن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُؤَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ. متفق عليه. فشبّه المؤمن بالنخلة لكثرة منافعتها.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: "تأمل هذه النخلة التي هي إحدى آيات الله تجد فيها من الآيات والعجائب ما يبهرك. وهي تشبه المؤمن من وجوه كثيرة.

أحدها: ثبات أصلها في الأرض، واستقراره فيها، وليست بمنزلة الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.

الثاني: طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها. كذلك المؤمن طيب الكلام. طيب العمل. فيه المنفعة لنفسه ولغيره.

الثالث: دوام لباسها وزينتها، فلا يسقط عنها صيفا، ولا شتاء. كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى.

الرابع: سهولة تناول ثمرتها، وتيسره. أمّا قصيرها، فلا يُحَوِّجُ المتناولَ أن يرقاها. وأما باسْفُها، فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال، وغيرها، فتراها كأنها قد هيئت منها المراقى والدرج إلى أعلاها. وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغرّ، ولا باللنيم.

الخامس: أن ثمرتها من أنفع ثمار العالم، فإنه يؤكل رطبه فاكهة وحلاوة، ويابسه يكون قوتًا وأدْمًا وفاكهة، ويتخذ منه الخل والناطف والحلوى، ويدخل في الأدوية، والأشربة، وعموم المنفعة به وبالغيب فوق كل الثمار.

الوجه السادس: أن النخلة أصبر الشجر على الرياح، والجهد وغيرها من الدوح العظام. تميلها الرياح تارة، وتقلعها تارة، وتقصف أفرانها. ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة. فذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعه الرياح.

السابع: أن النخلة كلها منفعة، لا يسقط منها شيء بغير منفعة. فثمرها منفعة، وجدعها فيه من المنافع مالا يجهل، للأبنية والسقوف، وغير ذلك. وسعفها تسقف به البيوت مكان القصب، ويستتر به الفرج والخلل، وخصوصها يتخذ منه المكاتل، والزنايل، وأنواع الآنية، والحُصُر، وغيرها، وليفها وكربها فيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس.

وقد طابق بعض الناس هذه المنافع، وصفات المسلم وجعل لكل منفعة منها صفة في المسلم تقابلها. فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزاره من المسلم صفة الحِدّة على أعداء الله، وأهل الفجور، فيكون عليهم في الشدة والغلظة بمنزلة الشوك، وللمؤمنين والمتقين بمنزلة الرُّطْب حلاوة ولينا: أشداء على الكفار رحماء بينهم.

الثامن: أنها كلما أطال عمرها. ازداد خيرها، وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن، إذا طال عمره ازداد خيره، وحسن عمله.

التاسع: أن قلبها من أطيب القلوب، وأحلاه. وهذا أمر خُصَّت به دون سائر الشجر. وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب.

العاشر: أنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبدا. بل إن تعطلت منها منفعة، ففيها منافع أخر حتى لو تعطلت ثمارها سنة، لكان للناس في سعفها وخصوصها وليفها وكربها منافع، وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير قط. إن أجذب منه جانب من الخير، أخصب منه جانب، فلا يزال خيره مأمولا، وشره مأمونا. ورد في الترمذي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم " خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره ".

وقال الرازي " والتكثير للتكثير (يعني: فاكهة) ، أي كثيرة كما يقال لفلان مال أي عظيم ، وقد ذكرنا وجه دلالة التنكير على التعظيم وهو أن القائل : كأنه يشير إلى أنه عظيم لا يحيط به معرفة كل أحد فتنكيره إشارة إلى أنه خارج عن أن يعرف كنهه.

وقوله تعالى : {وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} إشارة إلى النوع الآخر من الأشجار ، لأن الأشجار المثمرة أفضل الأشجار وهي منقسمة إلى أشجار ثمار هي فواكه لا يقات بها وإلى أشجار ثمار هي قوت وقد

يتفكه بها ، كما أن الفاكهة قد يقات بها ، فإن الجائع إذا لم يجد غير الفواكه يتقوت بها ويأكل غير متفكه بها " .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير " الفاكهة كثيرة الأشكال، كثيرة الأجناس، كثيرة الأنواع، النخل شيء واحد ثمره التمر، والفاكهة متنوعة، فالتكثير هنا للتعميم، وأما بالنسبة للنخل فالمراد به النخل المعهود المثمر للتمر فقط " .

واما الأكمام ففيها قول :

الاول: الأوعية التي يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدا كَم، وكل ما ستر شيئاً فهو كم وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كَمَّة.

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ } قَالَ: أوعية الطلع . وقال مقاتل بن سليمان: (فيها) يعني: في الأرض (فاكهة والنخل ذات الأكمام) يعني: ذات الأجواف، مثل قوله: (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) [فصلت: ٤٧] ، يعني: الكفري موقر طلوعها.

والكفري -بالضم وتشديد الراء وفتح الفاء وضمها مقصور-: هو وعاء الطلع وقشره الأعلى، وكذلك كافوره. النهاية (كفر).

قال الطاهر بن عاشور " ووصف النخل ب { ذات الأكمام } وصف للتحسين فهو اعتبار بأطوار ثمر النخل ، وامتنان بجماله وحسنه كقوله تعالى : { ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون } [النحل : 6] فامتنت بمنافعها وبحسن منظرها .

و { الأكمام } : جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء ثمر النخلة ويقال له : الكفري ، فليست الأكمام مما ينتفع به فتعين أن ذكرها مع النخل للتحسين " .

وقال الرازي : " فائدة ذكرها ؟

نقول : الإشارة إلى سهولة جمعها والانتفاع بها فإن النخلة شجرة عظيمة لا يمكن هزها لتسقط منها الثمرة فلا بد من قطف الشجرة فلو كان مثل الجميز الذي يقال : إنه يخرج من الشجرة متفرقاً واحدة واحدة لصعب قطفها فقال : { ذات الأكمام } أي يكون في كم شيء كثير إذا أخذ عنقود واحد منه كفى رجلاً واثنين كعناقيد العنب ، فانظر إليها فلو كان العنب حباتها في الأشجار متفرقة كالجميز والزعرور لم يمكن جمعه بالهز متى أريد جمعه ، فخلق الله تعالى عناقيد مجتمعة ، كذلك الرطب فكونها { ذات الأكمام } من جملة إتمام الإنعام " .

والمعنى الثاني : انه الليف قال الضحاك : " ذات الأكمام " أي ذات الغلف. وقال الحسن : أكمامها: ليفها. وقال قتادة قال: أكمامها: ليفها.

ونقل ابن عطية عن قتادة قوله: «: أكمام النخل: رقابها. ثم علق بقوله: «: والكم من النبات: كل ما التف على شيءٍ وستره، ومنه كمانم الزهر، وبه شبه كم الثوب."

والثالث : هو الطلع قبل أن ينشق قاله ابن زيد .

وأفرد النخل بالذكر لشرفه ونفعه ، رطباً ويابساً .

أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (والنخل ذات الأكمام)، قيل له: هو الطلع؟ قال: نعم، وهو في كم منه حتى ينفق عنه. قال: والحب أيضاً في أكمام. وقرأ: (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) [فصلت: ٤٧] .

وقد رجح ابن جرير العموم، فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكمة في ليفها، وطلعها متكمة في جفء، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكتمها في ليفها ولا تكتم طلعها في جفء، بل عم الخبر عنها بأنها ذات أكمام، والصواب أن يقال: عنى بذلك ذات ليف، وهي به متكمة وذات طلع هو في جفء متكمة؛ فيعمم، كما عم -جل ثناؤه- .

قوله تعالى: { وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) } قال البغوي " وقراءة العامة " : والحب ذو العصف والريحان " ، كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة . وقرأ ابن عامر " والحب ذا العصف والريحان " بنصب الباء والنون وذا بالألف على معنى : خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء . وقرأ حمزة والكسائي " والريحان " بالجر عطفًا على العصف فذكر قوت الناس والأنعام " .

وأما الحب فقال عنه " هو البر والشعير وما جرى مجراه من الحب الذي له سنبل وأوراق متشعبة على ساقه وهي العصيفة إذا يبست " .

وقال البغوي " أراد بالحب جميع الحبوب التي تحرث في الأرض " .
وأما العصف ففيه أقاويل أشهرها :

أحدها : تبين الزرع وورقه الذي تعصفه الريح ، قاله ابن عباس .

وعن الضحَّاك بن مُزاحم -من طريق عطية بن الحارث- قال : (والحبُّ ذُو الْعَصْفِ) ، العصف: التَّيْنُ (أخرجه ابن جرير). وهو مروى عن قتادة وعطاء الخرساني

عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (والحبُّ ذُو الْعَصْفِ) ، قال: ورق الحنطة (تفسير مجاهد). وبه قال مقاتل بن سليمان

الثاني الزرع اول ما يكون بقلًا:

وعن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد- في الآية، قال: العصف: الزرع اول ما يخرج بقلًا أخرجه ابن جرير

بنحوه، وابن أبي حاتم -كما في الفتح وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. وهو مروى عن ابي صالح باذام

وعن سَعِيدٍ، { وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ } [الرحمن: 12] «الْبَقْلُ مِنَ الزَّرْعِ» (أخرجه ابن جرير).

وعن أبي مالك عَزْرَوَانُ الْغَفَارِي -من طريق إسماعيل بن أبي خالد- قال : (والحبُّ) الْحَبُّ: أول ما يَنْبُتُ (أخرجه ابن جرير).

"وقال الفراء.

والعرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن يدرك.

وكذا في الصحاح: وعصفت الزرع أي جززته قبل أن يدرك.

وعن ابن عباس أيضا: العصف ورق الزرع الاخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: (فجعلهم كعصف (2) مأكول). (تفسير القرطبي).

الثالث: انه القشر على الحب.

عن الضحَّاك بن مُزاحم -من طريق سفيان- في الآية، قال: الْحَبُّ: الحنطة والشعير. والعصف: القشر

الذي يكون على الْحَبِّ (أخرجه ابن جرير بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح بلفظ: العصف: البر والشعير. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر).

وذهب ابن جرير إلى أن معنى: الْعَصْفُ هو: الورق الحادث من حَبِّ الشعير والبرِّ، والتَّيْنُ إذا يبس.

الثالث : انه الورق من كل شيء

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قوله (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) قال: العصف:

الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قطع: عصافة، وكل ورق فهو عصافة.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- قال : (ذُو الْعَصْفِ) الْعَصْفُ: الورق من كلِّ

شيء. قال: يُقَالُ لِلزَّرْعِ إِذَا قُطِعَ: عَصَافَةٌ، وكلِّ ورق فهو عَصَافَةٌ (أخرجه ابن جرير).

وقال ابن كيسان: "العصف" ورق كل شيء يخرج منه الحب، يبدو أولاً ورقاً وهو العصف ثم يكون سوقاً، ثم يحدث الله فيه أكاماً ثم يحدث في الأكام الحب (تفسير البغوي)
قال الطاهر بن عاشور " { والحب ذو العصف } : هو الحب الذي لنباته سنابل ولها ورق وقصب فيصير تبناً ، وذلك الورق والقصب هو العصف ، أي الذي تعصفه الرياح وهذا وصف لحب الشعير والحنطة وبهما قوام حياة معظم الناس وكذلك ما أشبههما من نحو السلنت والأرز .
وسمي العصف عصفاً لأن الرياح تعصفه ، أي تحركه ووصف الحب بأنه { ذو العصف } للتحسين وللتذكير بمنة جمال الزرع حين ظهوره في سنبله في حقله نظير وصف النخل بذات الأكام ولأن في الموصوف ووصفه أقوات البشر وحيوانهم "

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير " { ذُو الْعَصْفِ } العصف قال: "التبن" لأن الحب له قشر، له قشر وله سنبل، كل هذا إذا استخلص الحب الباقي يكون خفيف تعصف به الرياح، ولذا قال: ذو العصف، الحب له عصف، له قشور، وله تبن، وله أشياء إذا استخلص الحب الباقي تعصف به الرياح، ومنهم من يقول: ذو العصف المراد به ورق الشجر إذا يبس وسقط منها عصفت به الرياح، لكن إضافته للحب إضافته للحب تدل على أنه ملازم للحب، مما يتصف به الحب، الحب ذو، موصوف بكونه صاحب العصف، والفعل هنا مقصود به اسم المفعول، كالحمل بمعنى المحمول، العصف يعني المعصوف به وهو التبن وما في حكمه مما يخف للريح فتعصف به "

ففسره المفسرون بالجزء اليابس من النبات كتفسيرهم له بالتبن. وتارة بالجزء الاخضر كقولهم الزرع اول ما ينبت بقلا والظاهر ان جميع ما تقدم يقال له عصف لان هؤلاء المنقول عنهم الخلاف من السلف اهل فصاحة ومثل هذا لا يخفى عليهم فالظاهر انهم يطلقون العصف على جميع ما تقدم ذكره والله تعالى اعلم.

وأما الريحان ففيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه الرزق .

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كل ريحان في القرآن فهو الرزق.

وقاله مجاهد ، وسعيد بن جبیر ، والسدي ، والعرب تقول : خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه.

وقال مقاتل بن سليمان : (والرَّيْحَانُ) يعني: الرِّزْقُ. نظيرها : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) [الواقعة: ٨٩] يعني:

الرِّزْقُ، بلسان حمير^(١)، الذي يخرج من الحب من دقيق أو سويق أو غيره.

الثاني انه الورق قال ابن كثير : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَيْرٌ وَاحِدٍ: {وَالرَّيْحَانُ} يَعْنِي: الْوَرَقُ "

ونقال القطربي عن الفراء : العصف ساق الزرع، والريحان ورقه .

١ - قال الشيخ عبدالكريم الخضير " واشتمال القرآن على بعض المفردات من اللغات الأخرى سواء كانت عربية أو غير عربية، غير لغة قريش، القرآن في الأصل نزل بلغة قريش، لكن فيه من لغات القبائل الأخرى كما هو معروف، فيه من لغات القبائل الأخرى، والخلاف في وجود بعض الكلمات بلغات الأمم الأخرى، يعني هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟ الإجماع على أنه ليس فيه تراكيب وجمل أعجمية؛ لأنه بلسان عربي مبين، كما أن الإجماع قائم على أن فيه أعلام أعجمية، يعني أسماء أعجمية، وليس فيه تراكيب ولا جمل أعجمية، بقي المفردات مثل: مشكاة، ومثل:

استبرق وغيرهما، يعني هل فيه من لغة الحبشة شيء؟ هل فيه من لغة فارس شيء؟ أو ليس فيه شيء من ذلك؟ المسألة خلافية بين أهل العلم منهم من يثبت، وفيه كلمات إذا بحثت عنها في معاجم اللغات الأخرى وجدت لها ذكر، فمن أهل العلم من يثبت، ومنهم من يقول: ليس فيه كلام غير عربي، بل الكلمات الموجودة التي يدعى أنها أعجمية هذا مما اتفقت فيه اللغات، يعني تكلم به العرب وغيرهم، أو مما عرب يعني أصله أعجمي ثم عرب، وفي لغة العرب ما يعرف بالمعرب، فيه كتاب اسمه: (المعرب) للجواليقي كتاب من أنفس الكتب، ينبغي لطالب العلم أن يعتني به "

الثاني : أن الريحان الزرع الأخضر الذي لم يسنبل ،
أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ} قَالَ: التَّبْنُ
{وَالرَّيْحَانُ} قَالَ: خَضْرَاءُ الزَّرْعِ
وعن عبد الله بن عباس، في الآية، قال: (والريحان) حين يستوي على سوقه ولم يسنبل (عزاه
السيوطي إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم).

الثالث : أنه الريحان الذي يشم .
أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قَالَ: العصف ورق الزرع إذا يبس والريحان ما أنبتت
الأرض من الريحان الذي يشم .وقاله الحسن ، والضحاك ، وابن زيد .
قال الطاهر بن عاشور " و { الريحان } : ما له رائحة ذكية من الأزهار والحشائش وهو فعلان من
الرائحة ، وإنما سمي به ما له رائحة طيبة . وهذا اعتبار وامتنان بالنبات المودعة فيه الأطياب مثل
الورد والياسمين وما يسمى بالريحان الأخضر " .
الرابع : أن العصف الورق الذي لا يؤكل والريحان هو الحب المأكول ، قاله الكلبي .
وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قَالَ: العصف الزرع أول ما
يخرج بقلًا والريحان حين يستوي على سوقه ولم يسنبل.
قال الشيخ مصطفى العدوي " إذا قلت: إن الريحان هنا بالضم كما هو مثبت في المصاحف التي بين
أيدينا: { وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ } [الرحمن:12] فتكون (الريحان) هنا لها تأويل يختلف شيئاً ما
عما إذا قلت: (والحب ذو العصف والريحان) حيث تكون الريحان صفة للعصف، ويكون المراد بها
على قول لفريق من المفسرين: الاخضرار، فيقال: والحب ذو الخضرة وذو اليبس، فهو أولاً يكون
أخضر، ثم بعد ذلك يبس ويصبح عصفاً.
أما على قراءة من قرأها معطوفة على الحب، فيقول: إن المراد بالحب النبات الأخضر، أو يقول:
الريحان المعهود ذو الرائحة الطيبة " .
فقراءة الرفع على أن الريحان شيء مستقل ذكره الله تعالى وأما على قراءة الخفض وأنه صفة
للعصف فالمعروف أن الحب لا رائحة له فخير ما يفسر به حينها أنه الرزق وأما القراءة الأولى
فتحتمل المعاني المذكورة .
وأما قراءة النصب فقال عنه الزمخشري : " أي : وخلق الحب والريحان : أو وأخص الحب والريحان
" .

وقد رجح ابن جرير - مستنداً إلى الدلالة العقلية، واللغة - القول الأول، فقال: "وأولى الأقوال في ذلك
بالصواب قول من قال: عني به: الرزق، وهو الحب الذي يؤكل منه، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في
ذلك بالصواب لأن الله -جل ثناؤه- أخبر عن الحب أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث
منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء
الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه، ويقال: سبحانك
وريحانك، أي: ورزقك، ومنه قول النمر بن تولى: سلام الإله وريحانه وجنته وسماءٍ يرر". ثم
قال: «وذكر عن بعضهم أنه كان يقول: العصف: المأكول من الحب. والريحان: الصحيح الذي لم
يؤكل.»

وقال ابن كثير عقب ذكره الخلاف في هذا: «ومعنى هذا -والله أعلم- أن الحب كالقمح والشعير
ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو: ما على السنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتف على ساقها
". وهذا إنما هو طعام الدواب فيكون مرة قد امتن عليهم بطعامهم ومرة امتن عليهم بطعام دوابهم.

قال الشيخ ابن عثيمين : " الحب يعني الذي يؤكل من الحنطة والذرة والدخن والأرز وغير ذلك، وقوله: {ذو العصف} يعني ما يحصل من ساقه عند يبسه وهو ما يعرف بالتبن؛ لأنه يعصف أي تطوه البهائم بأقدامها حتى ينصف، {والريحان} هذا الشجر ذو الرائحة الطيبة، فذكر الله في الأرض الفواكه، والنخل، والحب، والريحان، لأن كل واحد من هذه الأربع له اختصاص يختص به، وكل ذلك من أجل مصلحة العباد ومنفعتهم "

قال ابو حيان " هُوَ مِنْ بَابِ الْإِبْتِدَاءِ بِالْأَدْنَى وَالتَّرْقِي إِلَى الْأَعْلَى، وَنَكَرَ لَفْظَهَا، لِأَنَّ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا دُونَ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا. ثُمَّ تَنَى بِالنَّخْلِ، فَذَكَرَ الْأَصْلَ وَلَمْ يُذَكِّرْ ثَمَرَتَهَا، وَهُوَ الثَّمَرُ لِكَثْرَةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا مِنْ لَيْفٍ وَسَعْفٍ وَجَرِيدٍ وَجُدُوعٍ وَجَمَارٍ وَثَمَرٍ. ثُمَّ أَتَى ثَالِثًا بِالْحَبِّ الَّذِي هُوَ قَوَامُ عَيْشِ الْإِنْسَانِ فِي أَكْثَرِ الْأَقَالِيمِ، وَهُوَ الْبُرُّ وَالشَّعِيرُ وَكُلُّ مَا لَهُ سُنْبُلٌ وَأُورَاقٌ مُتَشَعِّبَةٌ عَلَى سَاقِهِ، وَوَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: ذُو الْعَصْفِ تَنْبِيْهَا عَلَى إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَقْوَتْهُمْ مِنَ الْحَبِّ، وَيَقْوَتْ بِهَائِمَهُمْ مِنْ وَرَقِهِ الَّذِي هُوَ التَّبْنُ. وَبَدَأَ بِالْفَاكِهَةِ وَخَتَمَ بِالْمَشْمُومِ، وَبَيْنَهُمَا النَّخْلُ وَالْحَبُّ، لِيَحْصَلَ مَا بِهِ يَتَفَكَّهُ، وَمَا بِهِ يَتَقَوَّى، وَمَا بِهِ تَقَعُ اللَّذَائِدَةُ مِنَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ. وَذَكَرَ النَّخْلَ بِاسْمِهَا، وَالْفَاكِهَةَ دُونَ شَجَرِهَا، لِعِظَمِ الْمَنْفَعَةِ بِالنَّخْلِ مِنْ جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَشَجَرَةَ الْفَاكِهَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثَمَرَتِهَا حَقِيرَةً، فَنَصَّ عَلَى مَا يَعْظُمُ بِهِ الْإِنْتِفَاعُ مِنْ شَجَرَةِ النَّخْلِ وَمِنَ الْفَاكِهَةِ دُونَ شَجَرَتِهَا "

قال الرازي : " ما الحكمة في تقديم الفاكهة على القوت ؟

نقول : هو باب الابتداء بالأدنى والارتقاء إلى الأعلى ، والفاكهة في النفع دون النخل الذي منه القوت ، والتفكه وهو دون الحب الذي عليه المدار في سائر المواضع ، وبه يتغذى الأنام في جميع البلاد ، فبدأ بالفاكهة ثم ذكر النخل ثم ذكر الحب الذي هو أتم نعمة لموافقته مزاج الإنسان ، ولهذا خلقه الله في سائر البلاد وخصص النخل بالبلاد الحارة "

{والريحان} أي وفيها كل مشموم طيب الريح ، من النبات ، كالورد ، والفل ، والياسمين ، وما شاكلها ، قال في البحر : ذكر تعالى الفاكهة أولاً ونكر لفظها لأن الانتفاع بها نفسها ، ثم تنى بالنخل فذكر الأصل ، ولم يذكر ثمرها وهو التمر ، لكثرة الانتفاع بها من (ليف ، وسعف ، وجريد ، وجدوع ، وجمار ، وثمر) ، ثم ذكر الحب الذي هو قوام عيش الإنسان ، وهو البر والشعير وكل ما له سنبل وأوراق ، ووصفه بقوله : { ذو العصف } تنبيها على إنعامه عليهم ، بما يقوتهم تعالى به من الحب ، وما يقوت بهائمهم من ورقه ، وهو التبن ، وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم ليحصل ما به يتفكه ، وما به يتقوت ، وما به تقع اللذائذ من الرائحة الطيبة ، فسبحان من أنزل القرآن بأفصح بيان ، وأبدع إحكام !

وقال السعدي " {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ} أي: ذو الساق الذي يداس، فينتفع بتبنيه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حب البر والشعير والذرة [والأرز] والدخن، وغير ذلك، {وَالرَّيْحَانُ} يحتمل أن المراد بذلك جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، ويكون الله قد امتن على عباده بالقوت والرزق، عموماً وخصوصاً، ويحتمل أن المراد بالريحان، الريحان المعروف، وأن الله امتن على عباده بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة، والمشام الفاخرة، التي تسر الأرواح، وتشرح لها النفوس

لما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار والبصائر، وكان الخطاب للثقلين، الإنس والجن، قررهم تعالى بنعمه، فقال: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي: فبأي نعم الله الدينية والدنيوية تكذبان؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فما مر بقوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلؤه، أن يقر بها ويشكر، ويحمد الله عليها "

وفي الآلاء قولان :

أحدهما : أنها النعم ، وتقديره فبأي نعم ربكما تكذبان .
أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قال :
بأي نعمة الله .

ومثله عن قتادة ومقاتل بن سليمان .

الثاني : أنها القدرة ، وتقدير الكلام فبأي قدرة ربكما تكذبان .
أخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } قال : الآلاء : القدرة ، فبأي آلائه
تكذب خلقكم كذا وكذا ، فبأي قدرة الله تكذبان أيها الثقلان ، الجن والإنس .
وفي قوله ربكما إشارة إلى الثقلين الإنس والجن في قول الجميع .

عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا ، فقال : « ما لي أسمع
الجن أحسن جواباً لربها منكم؟! ما أتيت على قول الله : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } إلا قالوا : لا شيء
من نعمك ربنا نكذب ؛ فلك الحمد » أخرج البزار والطبري وصححه الألباني في الصحيحة .

وعن جابر بن عبد الله ، قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها
إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : « ما لي أراكم سُكوتاً؟! لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن
مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا
نكذب ؛ فلك الحمد » . أخرج الترمذي والحاكم وقال الحاكم : صحيح ، على شرط الشيخين ، ولم
يخرجاه . « ووافقه الذهبي . وقال الألباني في الصحيحة ١٨٤/٥

(٢١٥٠) : (الحديث بمجموع الطريقتين لا ينزل عن رتبة الحسن .)

والحديث وإن كانت أسانيده فيها بعض الأقوال وبعض النزاع ، إلا أن هناك نصاً عاماً تدرج تحته مثل
هذه الأجوبة ، من هذه النصوص العامة التي تدرج تحتها هذه الأجوبة : (أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي من الليل فلا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل ، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ) عليه
الصلاة والسلام .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قال : لا بأيتها ربنا .
قال الطاهر بن عاشور " وفائدة التكرير تؤكد التقرير بما لله تعالى من نعم على المخاطبين وتعريض
بتوبيخهم على إشراكهم بالله أصناماً لا نعمة لها على أحد ، وكلها دلائل على تفرد الإلهية . وعن ابن
قتيبة « أن الله عدد في هذه السورة نعماء ، وذكر خلقه آلاءه ثم أتبع كل خلة وصفها ، ونعمة وضعها
بهذه ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها » اه .

وقال الحسين بن الفضل : التكرير طرد للغفلة وتأکید للحجة .

وقال الشريف المرتضى في مجالسه وأماله المسمى « الدرر والغرر » : وهذا كثير في كلام العرب
وأشعارهم ، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً :

على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا طرد اليتيم عن الجزور

وذكر المصراع الأول ثماني مرات في أوائل أبيات متتابعة .

وقال الحارث بن عباد :

قرباً مربوط النعمة مني ... لقت حرب وائل عن حبال

ثم كرر قوله : قرباً مربوط النعمة مني ، في أبيات كثيرة من القصيد .

وهكذا القول في نظائر قوله : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } المذكور هنا إلى ما في آخر السورة " .
وقال الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب : " أن { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } لم تذكر إلا بعد ذكر نعمة أو
موعظة أو إنذار وتخويف وكلها من آلاء الله التي لا يكذب بها إلا كافر جاحد . أما في ذكر النعمة

فواضح. وأما في الموعدة فلأن الوعظ تلين له القلوب فتخشع وتتيب فالسبب الموصل إلى ذلك من أعظم النعم فظهر أن الوعظ من أكبر الآلاء.. وأما في الإنذار والتخويف كهذه الآية ففيه أيضاً أعظم نعمة على العبد لأن إنذاره في دار الدنيا من أهوال يوم القيامة من أعظم نعم الله عليه ألا ترى أنه لو كان أمام إنسان مسافر مهلكة كبرى وهو مشرف على الوقوع فيها من غير أن يعلم بها فجاءه إنسان فأخبره بها وحذره عن الوقوع فيها أن هذا يكون يدا له عنده وإحساناً يجازيه عليه جزاء أكبر الأنعام وهذا الوجه الأخير هو مقتضى الأصول لأنه قد تقرر في علم الأصول أن النص إذا احتتمل التوكيد والتأسيس فالأصل حملة على التأسيس لا على التوكيد لأن في التأسيس زيادة معنى ليست في التوكيد وعلى هذا القول فتكرير {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إنما هو باعتبار أنواع النعم المذكورة قبلها من إنعام أو موعظة أو إنذار وقد عرفت أن كلها من آلاء الله فالمذكورة بعد نعمة كالمذكورة بعد قوله: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ} الآية وبعد قوله: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ} الآية لأن السفن واللؤلؤ والمرجان من آلاء الله كما هو ضروري والمذكورة بعد موعظة كالمذكورة بعد قوله: {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ} الآية. والمذكورة بعد إنذار أو تخويف كالمذكورة بعد قوله: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ}. الآية.. والعلم عند الله تعالى".

قوله تعالى: { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) }
 اخرج ابن جرير عن عبد الله بن عباس عدة اقوال في قوله: (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)، قال: هو مِنَ الطِّينِ الَّذِي إِذَا مَطَّرَتِ السَّمَاءُ فَيَبَسَتْ الْأَرْضُ كَأَنَّهُ خَزَفَ الرَّقَاقِ
 وقال: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، وَاللَّازِبُ: اللَّزِجُ الطَّيِّبُ مِنْ بَعْدِ حَمًا مَسْنُونٍ مُنْتِنٍ. قال: وإنما كان حَمًا مَسْنُونًا بَعْدَ التَّرَابِ. قال: فَخُلِقَ مِنْهُ آدَمُ بِيَدِهِ. قال: فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَسَدًا مُلْقًى، فَكَانَ إِبْلِيسُ يَأْتِيهِ، فَيَضْرِبُهُ بِرِجْلِهِ، فَيُصَلِّصِلُ؛ فَيُصَوِّتُ. قال: فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (كَالْفَخَّارِ)، يَقُولُ: كَالشَّيْءِ الْمُنْفَرَجِ الَّذِي لَيْسَ بِمُصَمَّتٍ.
 وقال: الصَّلْصَالُ: التَّرَابُ الْمُدَقَّقُ. وقال: الصَّلْصَالُ: الطِّينُ الْيَابِسُ. وقال: مَا عَصِرَ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ.

وفي تفسير مقاتل عن عبد الله بن عباس: الصَّلْصَالُ: الطِّينُ الْجَيِّدُ إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْمَاءُ فَتَشَقَّقَ، فَإِذَا تَحَرَّكَ تَقَعَّقَ.

وقال مجاهد كما يصنع الفخار، وقال عكرمة: الصَّلْصَالُ: طِينٌ قَدْ خُلِطَ بِرَمْلِ، فَكَانَ الْفَخَّارِ.
 وقال قتادة: وهو التراب اليابس الذي يُسَمَّعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ، وقال مقاتل بن سليمان: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ) يَعْنِي: آدَمُ □ (مِنْ صَلْصَالٍ) يَعْنِي: مِنْ تَرَابِ الرَّمْلِ، وَمَعَهُ مِنَ الطِّينِ الْحَرِّ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: (كَالْفَخَّارِ) يَعْنِي: هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْفَخَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُطْبَخَ، يَقُولُ: كَانَ ابْنُ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ بِمَنْزِلَةِ الْفَخَّارِ أَجُوفٍ. (فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ مَرَاهِلِ الْخُلُقِ أَنَّهُ مِنْ طِينٍ يَابَسَ يَسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ وَرَبْمَا خُلِطَ مَعَهُ بَعْضُ الرَّمْلِ كَالطِّينِ الْيَابَسِ قَبْلَ أَنْ يُفَخَّرَ) وَاخْرَجَ الطَّبْرِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ: (وَخُلِقَ الْجَانُّ) هُوَ إِبْلِيسُ.

واخرج عن ابن عباس، في قوله: (مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ)، قال: من أوسطها وأحسنها. وقال خلقه من لهب النار، من أحسن النار. وقال خالص النار. وقال: خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت.

وقال مجاهد: اللهب الأصفر والأخضر، الذي يعلو النار إذا أوقدت. وعن مجاهد مثله، إلا أنه قال: والأحمر.

قال ابو حيان "خلق الإنسان: لما ذكر العالم الأكبر من السماء والأرض وما أوجد فيها من النعم، ذكر مبدأ من خلقت له هذه النعم، والإنسان هو آدم، وهو قول الجمهور. وقيل: للجنس، وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق من الصلصال. وإذا أريد بالإنسان آدم، فقد جاءت غايات له مختلفة، وذلك بتنقل أصله فكان أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمماً مسنوناً، ثم صلصلاً، فناسب أن ينسب خلقه لكل واحد منها. والجان هو أبو الجن، وهو إبليس، قاله الحسن. وقال مجاهد: هو أبو الجن، وليس بإبليس. وقيل: الجان اسم جنس، والمارج:

مَا اخْتَلَطَ مِنْ أَصْفَرٍ وَأَحْمَرَ وَأَخْضَرَ، أَوْ اللَّهْبِ، أَوْ الْخَالِصِ، أَوْ الْخُمْرَةِ فِي طَرْفِ النَّارِ، أَوْ الْمُخْتَلَطِ بِسَوَادٍ، أَوْ الْمُضْطَرَبِ بِلَا دُخَانٍ، أَقْوَالٌ، وَمِنْ الْأُولَى لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَالثَّانِيَةِ فِي مَنْ نَارٍ لِلتَّبَعِيضِ. وَقِيلَ لِلْبَيَانِ وَالتَّكْرَارِ فِي هَذِهِ الْفَوَاصِلِ: لِالتَّكْيِيدِ وَالتَّنْبِيهِ وَالتَّحْرِيكِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ. وَذَهَبَ قَوْمٌ مِنْهُمْ ابْنَ قُتَيْبَةَ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّكْرَارَ إِنَّمَا هُوَ لِاخْتِلَافِ النِّعَمِ، فَكَّرَ التَّوْقِيفَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا "

وقال الطاهر بن عاشور " { الجان } : الجن والمراد به إبليس وما خرج عنه من الشياطين ، وقد حكى الله عنه قوله : { خلقتني من نار وخلقته من طين } .

الجان: جمع جنّي، سُموا بالجن لاجتماعهم أي: استتارهم عن الأنظار، ومنه سُمي الجنين في بطن أمه لأنه لا يرى، فهو مُجْتَنٌّ في بطن أمه، ومنه المِجَن الذي يتخذ في الحرب يتوقى به المقاتل سهام العدو، سُمي مجناً لأنه يُجَنُّ من السهام، ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصوم جنة" بمعنى: أنه ساتر بين العبد وبين المعاصي، يستتر به من المعاصي، ومن كيد الشيطان، ومنه قوله تعالى: { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا } { جَنَّ عَلَيْهِ } يعني: غطاه ظلام الليل.

فالحاصل؛ أن الجن عالم خفي، لا نراه، وهم يعيشون معنا، وهم مكلفون كما كلفنا بالأوامر والنواهي.

والإيمان بوجودهم من الإيمان بالقلب، تصديقاً لخبر الله سبحانه وتعالى، وخبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجود الجن ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ومن جحد وجود الجن فهو كافر، لأنه مكذب لله ولرسوله وإجماع المسلمين.(اعانة المستفيد للفوزان).

قال الرازي "وفي الصلصال وجهان :-

أحدهما هو بمعنى المسنون من صل اللحم إذا أنتن ويكون الصلصال حينئذ من الصلول وثانيهما من الصليل يقال صل الحديد صليلاً إذا حدث منه صوت وعلى هذا فهو الطين اليابس الذي يقع بعضه على بعض فيحدث فيما بينهما صوت إذ هو الطين اللازب الحر الذي إذا التزق بالشيء ثم انفصل عنه دفعة سمع منه عند الانفصال صوت فإن قيل الإنسان إذا خلق من صلصال كيف ورد في القرآن أنه خلق من التراب وورد أنه خلق من الطين ومن حمأ ومن ماء مهين إلى غير ذلك نقول أما قوله مِّنْ تَرَابٍ (الحج 5) تارة وَمِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (المرسلات 20) أخرى فذلك باعتبار شخصين آدم خلق من الصلصال ومن حمأ وأولاده خلقوا من ماء مهين ولولا خلق آدم لما خلق أولاده ويجوز أن يقال زيد خلق من حمأ بمعنى أن أصله الذي هو جده خلق منه وأما قوله مِّنْ طِينٍ لِأَرْبٍ (الصفات 11) مِّنْ حَمًا (الحجر 26) وغير ذلك فهو إشارة إلى أن آدم عليه السلام خلق أولاً من التراب ثم صار طيناً ثم حمماً مسنوناً ثم لازباً فكانه خلق من هذا ومن ذاك ومن ذلك والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف مستعمل على أصل الاشتقاق وهو مبالغة الفاخر كالعلام في العالم وذلك أن التراب الذي من شأنه النفتت إذا صار بحيث يجعل ظرف الماء والمائعات ولا يتفتت ولا ينقع فكانه يفخر على أفراد جنسه

وفي الجن وجهان أحدهما هو أبو الجن كما أن الإنسان المذكور هنا هو أبو الإنس وهو آدم ثانيهما هو الجن بنفسه فالجان والجن وصفان من باب واحد كما يقال ملح ومالح أو نقول الجن اسم الجنس كالمح والجان مثل الصفة كالمالح.

وفيه بحث وهو أن العرب تقول جن الرجل ولا يعلم له فاعل يبني الفعل معه على المذكور وأصل ذلك جنه الجان فهو مجنون فلا يذكر الفاعل لعدم العلم به ويقتصر على قولهم جن فهو مجنون وينبغي أن يعلم أن القائل الأول لا يقول الجان اسم علم لأن الجان للجن كآدم لنا وإنما يقول بأن المراد من الجان أبوه كما أن المراد من الإنسان أبونا آدم فالأول منا خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجن الأول خلق من نار ومن بعده من ذريته خلق من مارج والمارج المختلط ثم فيه وجهان أحدهما أن المارج هو النار المشوبة بدخان والثاني النار الصافية والثاني أصح من حيث اللفظ والمعنى . أما اللفظ فلأنه تعالى قال من مارج من نار أي نار مارجة..

وأما المعنى فلأنه تعالى كما قال خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ (الرحمن 14) أي من طين حر كذلك بين أن خلق الجان من نار خالصة فإن قيل فكيف يصح قوله مارج بمعنى مختلط مع أنه خالص نقول النار إذا قويت التهيبت ودخل بعضها في بعض كالشيء الممتزج امتزاجاً جيداً لا تميز فيه بين الأجزاء المختلطة وكأنه من حقيقة واحدة " .

قال الصابوني : " أي خلق أباكم آدم من طين يابس ، يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ، قال المفسرون : ذكر تعالى في هذه السورة أنه خلق آدم [من صلصال كالفخار] وفي سورة الحجر [من صلصال من حمأ مسنون] أي من طين أسود متغير ، وفي الصافات [من طين لازب] أي يلتصق باليد ، وفي آل عمران [كمثل آدم خلقه من تراب] ولا تنافي بينها ، وذلك لأن الله تعالى خلقه أولاً من تراب الأرض ، فعجن بالماء فصار طينا لازبا أي متلاصقا يلتصق باليد ، ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا أي طينا أسود منتنا ، ثم صوره كما تصور الأواني ، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار إذا نقر صوت ، فالمذكور هنا آخر الأطوار

[وخلق الجان من مارج من نار] أي وخلق الجن من لهب خالص ، لا دخان فيه من النار ، قال ابن عباس : [من مارج] أي لهب خالص لا دخان فيه ، وقال مجاهد : هو اللهب المختلط بسواد النار ، وفي الحديث ؟ (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) "رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنه.

قوله تعالى : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } أي فبأي نعم الله يا معشر الإنس والجن تكذبان ؟ قال أبو حيان : والتكرار في هذه الفواصل ، للتأكيد والتنبيه . وقال ابن قتيبة : إن هذا التكرار إنما هو لإختلاف النعم ، فكلما ذكر نعمة كرر قوله : [فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقد ذكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة ، والاستفهام فيها للتقريع والتوبيخ.

قوله تعالى { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18) }

أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله رب المشرقين ورب المغربين قال : للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد رب المشرقين ورب المغربين قال : مشرق الشتاء ومغربه ومشرق الصيف ومغربه وأخرج عبد بن حميد عن قتادة وعكرمة مثله .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله رب المشرقين قال : مشرق النجم ومشرق الشفق ورب
المغربين قال : مغرب الشمس ومغرب الشفق .
قال ابو حيان "قرأ الجمهور: رَبُّ، وَرَبُّ بِالرَّفْعِ، أَي هُوَ رَبُّ وَأَبُو حَيَوَةَ وَابْنُ أَبِي عَبَّالَةَ: بِالْخَفْضِ بَدَلًا
مِنْ رَبِّكُمَا، وَتَنَّى الْمُضَافَ إِلَيْهِ لِأَنَّهَا مَشْرِقًا وَالشِّتَاءِ وَمَغْرِبًا هُمَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقِيلَ: مَشْرِقًا
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَغْرِبًا هُمَا. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لِلشَّمْسِ مَشْرِقٌ فِي الصَّيْفِ مُصْعِدٌ، وَمَشْرِقٌ فِي الشِّتَاءِ
مُنْحَدِرٌ، تَنْتَقِلُ فِيهِمَا مُصْعِدَةً وَمُنْحَدِرَةً. انْتَهَى.
فَالْمَشْرِقَانِ وَالْمَغْرِبَانِ لِلشَّمْسِ. وَقِيلَ: الْمَشْرِقَانِ: مَطْلَعُ الْفَجْرِ وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ، وَالْمَغْرِبَانِ مَغْرِبُ
الشَّفَقِ وَمَغْرِبُ الشَّمْسِ.

وَلِسَهْلِ التَّسْتَرِي كَلَامٌ فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ شَبِيهٌ بِكَلَامِ الْبَاطِنِيَّةِ (1) الْمَحْرَفِينَ مَذْلُولِ كَلَامِ اللَّهِ،
ضَرْبِنَا عَنْ ذِكْرِهِ صَفْحًا. وَكَذَلِكَ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْعُلَاةِ الدِّينِ يُنْسَبُونَ لِلصُّوفِيَّةِ، لِأَنَّا لَا نَسْتَحِلُّ

١- المدرسة الباطنية . التي تفسر القرآن بغير ما يحتمله النص من المعنى ، ولا يفهم من ألفاظ اللغة العربية .
والمدرسة الصوفية . التي تفعل فعل المدرسة الباطنية من تفسير القرآن بما لا يدل عليه نصه ولا سياقه ولا قرآنه ،
ادعاء لكشف ، وأوهام لا حقيقة لها .
هدفهم من القول بالتأويل الباطني يمكن إجماله فيما يلي:

1- إبطال الشرائع.

2- ترويح الباطل.

3- إضفاء الصبغة الشرعية على ما يقولون، وإيهام الناس أن آراءهم متفقة مع نصوص الشرع.
وبذلك صارت تلك الطوائف تأخذ بالتأويل الباطني لنصوص القرآن.

وتزعم أن من تقاعد عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار، والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها - كان تحت
الأصار والأغلال.

وأرادوا بالأغلال: التكاليف الشرعية؛ لأن من ارتقى إلى علم الباطن - بزعمهم- سقطت عنه التكاليف، واستراح من
أعبانها.

ومن هنا جاؤوا بتأويلات باطلة لا تستند إلى شرع، ولا عقل، ولا عرف، ولا لغة، بل إنها تخالف ذلك كله -ومصادر
الفكر الباطني ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي أفكار دخيلة على عقائد الإسلام؛ فهي مستنقاة من الفلسفة
اليونانية والهندية، ومن الديانات المجوسية، واليهودية، والنصرانية، وغيرها. ويروجون ضلالهم بشعارات
يخدعون بها العوام.

وتأويلات الباطنية لا تتصل بمدلول الألفاظ، ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآني.

بل هي مخالفة للنص القرآني تماماً، باحثة في كتاب الله عن أصل تتشبت به؛ ليؤيد شذوذهم، وغاياتهم في الصد عن
كتاب الله ودينه.

وحاصل هذا الاتجاه الباطني في تأويل نصوص الشريعة هو الانحلال عن الدين. فعملهم هو استخدام القرآن ليؤيد
شذوذهم لا السعي في خدمة كتاب الله تعالى واستنباط الاحكام الشرعية بالضوابط المعروفة عند اهل العلم سلفاً
وخلفاً.

وعموم البشر على اختلاف لغاتهم يعدون ظاهر الكلام هو العمدة في المعنى.

وأما أسلوب التعمية والإلغاز فلا وجود له إلا في الفكر الباطني.

ولو اتَّخَذَ هَذَا الْأَسْلُوبُ قَاعِدَةً لَمَا أَمَكْنَ التَّفَاهُمَ بِحَالٍ، وَلَمَا حَصَلَ الثَّقَةُ بِمَقَالٍ؛ لِأَنَّ الْمَعَانِي الْبَاطِنِيَّةَ لَا ضَابِطَ لَهَا وَلَا
نِظَامَ.

هذا في الكلام عموماً؛ فكيف بكلام الله المنزل، الذي وصفه الله - عز وجل - بأنه "بيان للناس".

وفي الناس عالمون، و جاهلون، ومنهم أميون، وكاتبون قارئون.

ولكن الله جعله بياناً لهم جميعاً، مُيسراً للذكر؛ ليعبد الناس ربهم على بصيرة.

نَقَلَ شَيْءٌ مِنْهُ. وَقَدْ أَوْلَعَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ بِحَسَبِ مَا قَالَهُ هُوَ لِأَنَّ الْغَلَاةَ فِي كُلِّ آيَةٍ آيَةٌ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْحَقَائِقَ، وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ وَمَا ادَّعَوْا فَهَمَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَأَعْلَوْا فِيهِ، لَمْ يَفْهَمَهُ عَرَبِيٌّ قَطُّ، وَلَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ".

أي هو جل وعلا رب مشرق الشمس والقمر ، ورب مغربهما ، فكيف يعبدون الشمس والقمر ، وينسون خالقهما ؟ ولما ذكر الشمس والقمر في قوله : { الشمس والقمر بحسبان } ذكر هنا أنه رب مشرقهما ومغربهما

وقال الطاهر بن عاشور " وتثنية المشرقين والمغربين باعتبار أن الشمس تطلع في فصلي الشتاء والربيع من سمت وفي فصلي الصيف والخريف من سمت آخر وبمراعاة وقت الطول ووقت القصر وكذلك غروبها وهي فيما بين هذين المشرقين والمغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة فقد يعتبر ذلك فيقال : المشارق والمغرب كما في قوله تعالى : { فلا أقسم برب المشارق والمغرب إنا لقادرون } في سورة المعارج (40) .

ومن زعم أن تثنية المشرقين لمراعاة مشرق الشمس والقمر وكذلك تثنية المغربين لم يغص على معنى كبير .

وعلى ما فسّر به الجمهور المشرقين { و { المغربين } بمشركي الشمس ومغربيهما فالمراد ب { المشرقين } النصف الشرقي من الأرض ، وب { المغربين } النصف الغربي منها . وربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين بمعنى الخلق والتصرف " .

وقال الرازي " فإن قيل ما الحكمة في اختصاصهما مع أن كل يوم من ستة أشهر للشمس مشرق ومغرب يخالف بعضها البعض نقول غاية انحطاط الشمس في الشتاء وغاية ارتفاعها في الصيف والإشارة إلى الطرفين تتناول ما بينهما فهو كما يقول القائل في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب ويفهم أن له ما بينهما أيضاً " .

وقال ابن القيم : " قوله عز وجل { فلا أقسم برب المشارق والمغرب إنا لقادرون * على أن نبذل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين } أقسم سبحانه برب المشارق والمغرب وهي إما مشارق النجوم ومغربها أو مشارق الشمس ومغربها وأن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب فكذاك جمع في موضع وأفرد في موضع وثنى في موضع آخر فقال { رب المشرقين ورب المغربين } فقيل : هما مشرقا الصيف والشتاء وجاء في كل موضع ما يناسبه فجاء : في سورة الرحمن { رب المشرقين ورب المغربين } لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات فذكر فيها الخلق والتعليم والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والحب والثمر والجن والإنس ومادة أبي البشر وأبي الجن والبحرين والجنة والنار وقسم الجنة إلى جنتين عاليتين وجنتين دونهما وأخبر أن في كل جنة عينين فناسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين

وأما سورة (سأل سائل) فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكمالها وصحة تعلقها بإعادتهم بعد العدم فذكر المشارق والمغرب بلفظ الجمع إذ هو أدل على المقسم عليه سواء أريد مشارق النجوم

والمأمل لمقالة التأويل الباطني يدرك خطورتها في تفسير القرآن، وأنها تقتضي بطلان الثقة بالألفاظ، وتسقط الانتفاع بكلام الله ورسوله، ويصير ما يسبق إلى الفهم لا يوثق به.

وبهذا الطريق يحاول الباطنية التوصل إلى هدم الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على رأيهم دون ضابط، أو رادع. ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن ودلالاته لما تحقق الإعجاز، ولكان من قبيل الإلغاز.

ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون فيأتي بهم في نشأة أخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع ويذهب (بها) في مغرب وأما في سورة (المزل) فذكر المشرق والمغرب بلفظ الأفراد لما كان المقصود ذكر ربوبيته ووحدانيته وكما أنه تفرد بربوبية المشرق والمغرب وحده فكذاك يجب أن يتفرد بالربوبية والتوكل عليه وحده فليس للمشرق والمغرب رب سواه فكذاك ينبغي أن لا يتخذ إله ولا وكيل سواه وكذاك قال موسى لفرعون حين سأله { وما رب العالمين } فقال { رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون } وفي ربوبيته سبحانه للمشارك والمغرب تنبيه على ربوبيته للسماوات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم وربوبيته ما بين الجهتين وربوبيته الليل والنهار وما تضمناه ثم قال { إنا لقادرون * على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين } أي لقادرون على أن يذهب بهم ونأتي بأطوع لنا منهم وخيرا منهم كما قال تعالى { إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا } .

قال ابن كثير : " وَلَمَّا كَانَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، مَصَالِحٌ لِلْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَالَ : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ؟ " .

قوله تعالى { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) } أي أرسل البحر الملح ، والبحر العذب ، يتجاوران ويلتقيان ولا يمتزجان وقوله تعالى { بينهما برزخ لا يبغيان } .

أي بينهما حاجز من قدرة الله تعالى ، لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة ، قال ابن كثير : والمراد بالبحرين : الملح ، والحلو ، فالملح هذه البحار ، والحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس ، وجعل الله بينهما برزخا ، وهو الحاجز من الأرض ، لنلا يبغي هذا على هذا ، فيفسد كل واحد منهما الآخر)) مختصر تفسير ابن كثير ، وهذا هو الصحيح أن المراد بهما : البحار ، والأنهار ، وهو من باب التغليب ، ويدل على هذا القول ، أن الله وصفهما بقوله { وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج } وليس على وجه الأرض كلها من البحار ، ما هو حلو الماء ، فتدبر آيات الذكر الحكيم ، والله يردك !)) .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله مرج البحرين قال : أرسل البحرين بينهما برزخ قال : حاجز لا يبغيان قال : لا يختلطان

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد مرج البحرين يلتقيان قال : مرجهما استواؤهما بينهما برزخ قال : حاجز من الله لا يبغيان قال : لا يختلطان وفي لفظ لا يبغي أحدهما على الآخر لا العذب على المالح ولا المالح على العذب

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله مرج البحرين يلتقيان قال علي وفاطمة بينهما رزخ لا يبغيان قال : النبي صلى الله عليه وسلم يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال : الحسن والحسين وانتقد ابن تيمية في (منهاج السنة ١/١٩٩) هذا الأثر - مستندا إلى العقل وأقوال السلف - بقوله : « وكل من له عقل وعلم يعلم بالاضطرار بطلان هذا التفسير ، وأن ابن عباس لم يقل هذا . »

وجاء في موسوعة التفسير " في المراد بالبحرين أقوال :

الأول : عني بهما : بحر السماء ، وبحر الأرض .

الثاني : عني بهما : بحر فارس ، وبحر الروم .

الثالث : عني بهما : فاطمة ، وعلي .

ولم يذكر ابن جرير غير القولين الأولين، ثم رجح الأول مستنداً إلى الدلالة العقلية .
قال ابن كثير : " وَقَدْ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ هَاهُنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَحْرَيْنِ: بَحْرَ السَّمَاءِ وَبَحْرَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَطِيَّةَ وَابْنَ أَبِي زَيْدٍ.
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لِأَنَّ اللَّوْلُوَ يَتَوَلَّدُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ، وَأَصْدَافُ بَحْرِ الْأَرْضِ . وَهَذَا وَإِنْ كَانَ هَكَذَا لَيْسَ الْمُرَادُ [بِذَلِكَ] مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُسَاعِدُهُ اللَّفْظُ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ قَالَ: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} أَي: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا، وَهُوَ: الْحَاجِزُ مِنَ الْأَرْضِ، لِئَلَّا يَبْغِيَ هَذَا عَلَى هَذَا، وَهَذَا عَلَى هَذَا، فَيُفْسِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ، وَيُزِيلُهُ عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةٌ مِنْهُ. وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يُسَمَّى بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا "

وقد ساق ابن تيمية القول الثالث عن سفيان الثوري، من طريق الثعلبي، وذكر أن الثعلبي ذكره بإسنادٍ رواه مجهولون لا يعرفون عن سفيان الثوري، ثم ساق إسناد الثعلبي، وانتقده -مستنداً لضعف إسناده -بقوله: « وهذا الإسناد ظلمات بعضها فوق بعض، لا يثبت بمثله شيء .» ثم انتقد القول جملةً -مستنداً إلى أحوال النزول، واللغة، والنظائر، والدلالة العقلية، وإجماع المفسرين -من وجوه: أحدها: أن سورة الرحمن مكية بإجماع المسلمين، والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة . الثاني: أن تسمية هذين بحرين، وهذا لؤلؤا، وهذا مرجاناً، وجعل النكاح مرجاً؛ أمر لا تحتمله لغة العرب بوجه، لا حقيقة ولا مجازاً، بل كما أنه كذبٌ على الله وعلى القرآن، فهو كذبٌ على اللغة . الثالث: أن الله ذكر أنه مرج البحرين في آية أخرى، فقال في الفرقان: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) [الفرقان: ٥٣] فلو أريد بذلك علي وفاطمة لكان ذلك ذمّاً لأحدهما، وهذا باطل بإجماع أهل السنة والشيعة .

الرابع: أنه قال: (بينهما برزخ لا يبغيان) فلو أريد بذلك علي وفاطمة؛ لكان البرزخ الذي هو النبي ﷺ بزعمهم أو غيره هو المانع لأحدهما أن يبغي على الآخر. وهذا بالذم أشبه منه بالمدح . الخامس: أن أئمة التفسير متفقون على خلاف هذا، كما ذكره ابن جرير وغيره. فقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام. وقال الحسن: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) يعني: بحر فارس والروم، (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ): هو الجزائر . وزاد ابن عطية قولين آخرين،

أحدهما: عني بهما: بحر القلزم واليمن، وبحر الشام .

ثانيهما: أنهما مطر السماء، وبحر الأرض .

وقال: "والظاهر عندي ان قوله تعالى " البحرين " يريد بهما نوعي الماء العذب والأجاج أي خلطهما في الأرض وأرسلهما متداخلين في وضعهما في الأرض قريب بعضهما من بعض ولا بغي والعبرة في هذا التأويل منيرة وأنشد منذر بن سعيد (وممزوجة الأمواه لا العذب غالب على الملح طيبا ولا الملح يعذب)
اما قوله " يلتقيان " فعلى التأويلين الأولين معناه هما معدان للالتقاء وحقهما ان يلتقيا لولا البرزخ "

ووجهه على قول من قال: عني بهما بحر السماء وبحر الأرض. فقال: «: وعلى القول الثالث أنهما يلتقيان كل سنة مرة " .» وانتقد قول من قال: إنه بحر يجتمع في السماء. قائلاً: «فمن ذهب إلى أنه بحر يجتمع في السماء فهو قول ضعيف .» غير أنه ذكر له وجهاً ينتظم به مع قول من قال: إنهما مطر السماء وبحر الأرض، فقال: «: وإنما يتوجه اللقاء فيه وفي القول الرابع بنزول المطر .» ووجهه على القول بأن المراد بهما نوعي الماء: المالح والعذب بقوله: «: وفي القول الخامس بالالتقاء في البحر، وبالعيون قرب البحر.» .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله تكذبان ؟

وهو تكرير كما علمته مما تقدم ، ووقع هنا اعتراضاً بين أحوال البحرين .

قوله تعالى { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) }

قال يحيى بن يعمر: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا)، أي: من أحدهما. (تفسير ابن زنين).

وقال مقاتل بن سليمان: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) من الماعين جميعاً؛ ماء الملح وماء العذب، ومن ماء السماء.

قال الطبري " واختلفت القراء في قراءة قوله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)، فقراءته عامة قراء

المدينة والبصرة: (يَخْرُجُ) على وجه ما لم يسم فاعله . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المكيين

بفتح الياء.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لتقارب معنيهما

"

وقال ابو حيان : " قرأ الْجُمْهُورُ: يَخْرُجُ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ: مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ

وَالْجُعْفِيُّ، عَنِ أَبِي عَمْرٍو: بِأَلْيَاءٍ مَضْمُومَةٍ وَكَسْرِ الرَّاءِ، أَي يَخْرُجُ اللَّهُ وَعَنْهُ وَعَنِ أَبِي عَمْرٍو، وَعَنِ

ابن مفسم: بِالنُّونِ. وَاللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ نُصِبَ فِي هَاتَيْنِ الْقَرَاءَتَيْنِ.

وَالظَّاهِرُ فِي مَنِهَمَا أَنَّ ذَلِكَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَلْحِ وَالْعَذْبِ. وَقَالَ بِذَلِكَ قَوْمٌ، حَكَاهُ الْأَخْفَشُ. وَرَدَّ النَّاسُ هَذَا

الْقَوْلَ، قَالُوا: وَالْحَسُّ يُخَالِفُهُ، إِذْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنَ الْمَلْحِ ... وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَلْحِ، لَكِنَّهُ

قَالَ مِنْهُمَا تَجَوُّزًا.

.. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَتَبِعَ الرَّجَّاحُ مِنْ حَيْثُ هُمَا نَوْعٌ وَاحِدٌ، فَخُرُوجُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا هِيَ مِنْهُمَا، وَإِنْ

كَانَتْ تَخْتَصُّ عِنْدَ التَّفْصِيلِ الْمَبَالِغَ بِأَحَدِهِمَا، كَمَا قَالَ: سَبَعُ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا

«1» ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِحْدَاهُنَّ، وَهِيَ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ " .

وقال الشنقيطي : " اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن المراد بقوله في هذه الآية {يَخْرُجُ مِنْهُمَا}

أي من مجموعها الصادق بالبحر الملح، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه، وأن اللؤلؤ

والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب.

وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه، لأن الله صرح بنقيضه

في سورة فاطر، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وذلك في قوله تعالى: { وَمَا يَسْتَوِي

الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً

تَلْبَسُونَهَا } [فاطر:12]، فالتنوين في قوله: {مَنْ كُلَّ} تنوين عوض أي من كل واحد من العذب والملح

تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان، وهذا مما لا نزاع فيه " .

وقد عرف الناس في ازمنتنا وجود اللؤلؤ في المياة العذبة بل لذلك في بعض الدول مزارع لانتاج

اللؤلؤ من المياة العذبة كما هو الحال في الصين

وروى الطبري " عن ابن عباس (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) ، قال: اللؤلؤ: ما عظم منه،

والمرجان: اللؤلؤ الصغار.

ومثله عن قتادة والضحاك وغيرهم.

وقال آخرون: المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار.

والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب

(فالمتفق عليه انه الدر الذي يخرج من البحر ولا يضر الاختلاف في كونه الصغار منه او الكبار

والبحاره لا يجدونه على حجم واحد بل منه الكبار ومنه الصغار) ، وأما المرجان، فإني رأيت أهل

المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ " .

وقال ابن عطية : "والوصف بالصغر هو الصواب في اللؤلؤ .«ورجح في المرجان أنه حجر أحمر، فقال» :وقال ابن مسعود وغيره: المرجان: حجر أحمر. وهذا هو الصواب في المرجان".
وقال الصابوني : " أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان ، كما يخرج من التراب الحب والعصف والرياحان "

وقال الطاهر بن عاشور : " وبين قوله : { مرج } [الرحمن : 19] وقوله : { والمرجان } الجنس المذيل "

وقال الشنقيطي : " واللؤلؤ الدر، والمرجان الخرز الأحمر. وقال بعضهم: المرجان صغار الدر واللؤلؤ كباره " فيكون قد ذكر أشياء متقابلة اللؤلؤ الكبار والصغار ولكل مزية والله اعلم.
وقال ابن جرير : " والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ. قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك "

والمرجان نوع من الحلي وليس الشعب المرجانية المعروفة في عالم البحار اليوم .
قال ابن كثير : " وَلَمَّا كَانَ اتَّخَذَ هَذِهِ الْحِلْيَةَ نِعْمَةً عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، ائْتَنَّنَ بِهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ : { فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ } "

قوله تعالى : { وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ (25) }
أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله وله الجوار المنشآت قال : المنشآت ما رفع قلعة (أي اشْرعته) من السفن فأما ما لم يرفع قلعة فليس بمنشآت
وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن وله الجوار المنشآت قال : السفن و المنشآت قال : بالشرع كالأعلام قال : كالجبال

قال العدوي : " { وَلَهُ الْجَوَارِ } أي: السفن، جمع جارية كما قال تعالى: { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } [الحاقة: 11] وسميت جارية لجريها، كما أطلق على الفتاة جارية لجريها في خدمة أبويها، وعلى الأمة جارية لجريها ولسعيها في خدمة سيدها، فيطلق على السفن، والجواري، والفلك الأعلام المراد بها الجبال، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولينزلن قوم إلى جنب علم) فالعلم هنا هو الجبل "

قال الطبري : " وقوله: (الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة (الْمُنشآتُ) بكسر الشين، بمعنى: الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن. وقرأ ذلك عامة قراء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين (الْمُنشآتُ)، بفتح الشين، بمعنى المرفوعات القلاع اللاتي تقبل بهن وتدبر.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متقاربتاه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب "

قال ابو حيان " وَلَهُ الْجَوَارِ: خَصَّ تَعَالَى الْجَوَارِيَ بِأَنَّهَا لَهُ، وَهُوَ تَعَالَى لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا هُمْ مُنْشِئِيهَا، أَسْنَدَهَا تَعَالَى إِلَيْهِ، إِذْ كَانَ تَمَامَ مَنْفَعَتِهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْهُ تَعَالَى، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَالِكُهَا. وَالْجَوَارِي: السُّفُنُ.

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْحَسَنُ وَعَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو: بِضَمِّ الرَّاءِ، كَمَا قَالُوا فِي شَاكٍ شَاكٌ. (وهي قراءة شاذة)

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ الْمُنْشآتُ بِفَتْحِ الشَّيْنِ، اسْمٌ مَفْعُولٌ: أَيِ أَنْشَأَهَا اللَّهُ، أَوْ النَّاسُ، أَوْ الْمَرْفُوعَاتُ الشَّرَاعِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا لَهُ شِرَاعٌ مِنَ الْمُنْشآتِ، وَمَا لَمْ يُرْفَعْ لَهُ شِرَاعٌ، فَلَيْسَ مِنَ الْمُنْشآتِ. وَالشَّرَاعُ: الْقُلْعُ.

وَالْأَعْمَشُ وَحَمْرَةَ وَرَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَأَبُو بَكْرٍ: بِخِلَافِ عَنْهُ، بِكَسْرِ الشَّيْنِ: أَيِ الرَّافِعَاتِ الشَّرَاعِ،
أَوِ اللَّاتِي يُنْشِنُ الْأَمْوَاجَ بِجَرِيهِنَّ، أَوِ اللَّاتِي تُنْشِئُ السَّفَرَ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا. وَشَدَّدَ الشَّيْنُ ابْنَ أَبِي عَبْلَةَ
وَالْحَسَنَ الْمُنْشَأَةَ، وَحَدَّ الصِّفَةَ، وَدَلَّ عَلَى الْجَمْعِ الْمُوصُوفِ، كَقَوْلِهِ: أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ «2»، وَقَلْبَ
الْهَمْزَةِ أَلْفًا عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ:

إِنَّ السَّبَاعَ لَتَهْدِي فِي مَرَابِضِهَا

يُرِيدُ: لَتَهْدَى، التَّاءُ لَتَأْتِي الصِّفَةَ، كُتِبَتْ تَاءً عَلَى لَفْظِهَا فِي الْوَصْلِ. كَالْأَعْلَامِ:

أَيُّ كَالْجِبَالِ وَالْأَكَامِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كِبَرِ السُّفْنِ حَيْثُ شَبَّهَهَا بِالْجِبَالِ، وَإِنْ كَانَتْ الْمُنْشَأَتُ تَنْطَلِقُ عَلَى
السَّفِينَةِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ " .

وقال الطاهر بن عاشور: " واللام للملك وهو ملك تسخير السير فيها ، قال تعالى : { ومن آياته
الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار
شكور أو يوبقهن بما كسبوا } [الشورى : 32 34] . فالمعنى : أن الجواري في البحر في تصرفه
تعالى ، قال تعالى : { والفلك تجري في البحر بأمره } [الحج : 65] .

والإخبار عن الجواري بأنها له للتنبيه على أن إنشاء البحر للسفن لا يخرجها عن ملك الله .

والجوار صفة لموصوف محذوف دل عليه متعلقه وهو قوله : { في البحر } . والتقدير : السفن
الجواري إذ لا يجري في البحر غير السفن .

وكتب في المصحف الإمام { الجوار } براء في آخره دون ياء وقياس رسمه أن يكون بياء في آخره ،
فكتب بدون ياء اعتداداً بحالة النطق به في الوصل إذ لا يقف القارئ عليه ولذلك قرأه جميع العشرة
بدون ياء في حالة الوصل والوقف لأن الوقف عليه نادر في حال قراءة القارئ .

وقرأ الجمهور { المنشآت } بفتح الشين ، فهو اسم مفعول ، إذا أوجد وصنع ، أي التي أنشأها الناس
بإلهام من الله فحصل من الكلام منتان منة تسخير السفن للسير في البحر ومنة إلهام الناس لإنشائها .
.... ووصفت الجوارى بأنها كالأعلام ، أي الجبال وصفاً يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضى بداعة
إلهام عقول البشر لصنعها ، والمقتضى عظم المنة بها لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من
الناس والمتاع " .

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير " { الْمُنْشَأَاتُ } يعني المحدثات التي أنشأها البشر وصنعوها هي لله -
جل وعلا-؛ لأنه هو الذي يسيرها، يعني وسائل النقل الأخرى تسير لكن كيفية سيرها؟ إن كانت من
صنع البشر فأمرها واضح، يعني لو قلنا: مثلاً السيارات والطائرات وغيرها، ما الذي يسير ..؟ كيف
تسير السيارة؟ على أمور محسوسة، أمور محسوسة صنعها البشر، وإن كان البشر لا يستقل فالله
خالقه وخالق ما عمل، خالقه، خالق الصانع وخالق الصناعة، { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [(96) سورة
الصفات]

... { وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَأَاتُ } [(24) سورة الرحمن] المحدثات التي صنعها البشر بأمر الله -جل وعلا-

وبإرادته وبتعليمه إياه؛ لأنه هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

.. { فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } [(24) سورة الرحمن] يعني كالجبال، العلم الجبل، الأعلام واحدها علم، وهو
الجبل، وكثيراً ما يقال: فلان علم في رأسه نار، أو كأنه علم في رأسه نار، يعني كأنه جبل في ذروته
نار، يشاهده القريب والبعيد " .

وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره : فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس التي أنعمها
عليكم، بإجرائه الجواري المنشآت في البحر جارية بمنافعكم- تكذبان.(الطبري).

قوله تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) }

يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بالياء، (ذو الجلال والإكرام) على أنه من نعت الرب وصفته.

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : إذا قرأت كل من عليها فان فلا تسكت حتى تقرأ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

أي حتى تبين الاستثناء؛ حتى يتبين نقص المخلوق وكمال الخالق، وذلك للتقابل، فهذا فناء وهذا بقاء. أي: هذا فناء كتب على المخلوقين، وهذا بقاء واجب لله تبارك وتعالى. وقال تعالى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ ، أي: لا يفنى.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في قوله ذو الجلال والإكرام قال : ذو الكبرياء والعظمة وأخرج ابن المنذر والبيهقي عن حميد بن هلال قال : قال رجل : يرحم الله رجلا أتى على هذه الآية ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فسأل الله تعالى بذلك الوجه الكافي الكريم ولفظ البيهقي بذلك الوجه الباقي الجميل .

قال ابن كثير : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَذْهَبُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ- لَا يَمُوتُ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا.

قَالَ قَتَادَةَ: أَنْبَأَ بِمَا خَلَقَ، ثُمَّ أَنْبَأَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَانٍ .

وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكُنْ لَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.

... وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [الْقَصَصِ: 88] ، وَقَدْ نَعَتَ تَعَالَى وَجْهَهُ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفُ، كَقَوْلِهِ: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الْكَهْفِ: 28] ،

وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمُتَصَدِّقِينَ: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوجْهَ اللَّهِ} [الْإِنْسَانِ: 9]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} ذُو الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ.

وَلَمَّا أَخْبَرَ عَنْ تَسَاوِيِ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فِي الْوَفَاةِ، وَأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ قَالَ: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} "

قال الطاهر بن عاشور " لما كان قوله : { وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام } [الرحمن : 24]

[مؤذناً بنعمة إيجاد أسباب النجاة من الهلاك وأسباب السعي لتحصيل ما به إقامة العيش إذ يسر

للناس السفن عوناً للناس على الأسفار وقضاء الأوطار مع السلامة من طغيان ماء البحار ، وكان

وصف السفن بأنها كالأعلام توسعة في هذه النعمة أتبعه بالموعظة بأن هذا لا يحول بين الناس وبين

ما قدره الله لهم من الفناء ، على عادة القرآن في الفرص للموعظة والتذكير كقوله : { أينما تكونوا

يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } [النساء : 78] . وفائدة هذا أن لا ينسوا الاستعداد للحياة

الباقية بفعل الصالحات ، وأن يتفكروا في عظيم قدرة الله تعالى ويقبلوا على توحيده وطلب مرضاته .

ووقوع هذه الجملة عقب ما عدد من النعم فيه إيماء إلى أن مصير نعم الدنيا إلى الفناء .

والجملة استئناف ابتدائي .

وضمير { عليها } مراد به الأرض بقريئة المقام مثل { حتى توارت بالحجاب } [ص : 32] ، أي الشمس ومثله في القرآن وكثير وفي كلام البلغاء .

ومعنى { فان } : أنه صائر إلى الفناء ، فهذا من استعمال اسم الفاعل لزمان الاستقبال بالقرينة مثل { إنك ميت وإنهم ميتون } [الزمر : 30] .

والمراد ب { من عليها } : الناس لأنهم المقصود بهذه العبر ، ولذلك جيء ب (من) الموصولة الخاصة بالعقلاء .

والمعنى : أن مصير جميع من على الأرض إلى الفناء ، وهذا تذكير بالموت وما بعده من الجزاء " . والمراد بالفناء والهلاك المذكورين في الآيتين بالنسبة للأرواح إنما هو خروجها من أبدانها . وليس عدمها مطلقاً فإنها لا تفنى كالجنة والنار ونحوهما . وقد جمعها ابن القيم فقال في " الكافية الشافية " (97/1 - شرح

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرض والكرسي ونار وجنة وشجب وأرواح كذا اللوح والقلم

فالأرواح لا تموت فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان . قالوا : وقد دل على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى في أجسادها ولو ماتت الأرواح لا تقطع عنها النعيم والعذاب وقال الله تعالى : { ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون } هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاق الموت .

بخلاف الدهريين الذين يقولون بأن الروح تفنى كالجسد .

وقال ابو حيان : " قرأ الْجُمْهُورُ : ذُو بِالْوَاوِ ، وَصِفَةٌ لِلْوَجْهِ وَأَبْيٌ وَعَبْدُ اللَّهِ : ذِي بِالْيَاءِ ، صِفَةٌ لِلرَّبِّ " .

وقال العدوي : " كما قال الله سبحانه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } [الزمر:30] ، وكما قال سبحانه : { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ } [الأنبياء:34] ، وكما قال الله سبحانه : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } [آل عمران:185] .

فهنا يذكر سبحانه لفظاً عاماً في كل الخلائق : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن:26-27] الجلال مأخوذة من الإجلال، وقولك: أنا أجل الشخص عن كذا، أي:

أنزهه وأرفعه عن هذا المستوى، فتقول: أنا أجلك عن هذا الفعل، أي: أرفع قدرك، فلا يليق بك أن تنزل إلى هذا المستوى الرديء وتفعل هذا الفعل، فأنت أجل من هذا الفعل، وأعظم من هذا الفعل، فالجلال هنا من هذا المعنى.

وكذلك: الإكرام، بمعنى: أنا أكرمك أن تصنع هذا الصنيع، وأن تنزل إلى هذا المستوى، فربنا أجل وأكرم، فهو لا يتطرق إليه سبحانه عيب ولا نقص بحال من الأحوال، منزّه عن كل قبيح، ومنزه عن كل نقص، ومنزه عن كل عيب سبحانه وتعالى.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) أي: أَلْظُوا فِي الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُوا فِي الدُّعَاءِ ، من قول: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فتقول مثلاً: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَفْعَلْ لِي وَأَفْعَلْ ، كما تقول بعد الصلاة: اللَّهُمَّ! أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَتَخَلَّلْ بِهَا أَدْعِيَتِكَ " .

وقال الشنقيطي : " والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه ، فعلياً أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق " .

والوجه معناه معلوم لكن كلفيته مجهولة للخلق .

وقال ابن عثيمين : " وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى ؛ فيجب إثباته له بدون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، وهو وجه حقيقي يليق به " [شرح لمعة الاعتقاد] .

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس؛ فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام، و[ذو الجلال والإكرام] من نعت الوجه؛ فلذلك رفع [ذو]..». وقال ابن الجوزي في كتابه «مجالس ابن الجوزي» يرد على من أول الوجه بالذات: «وقول المعتزلة: إنه أراد بالوجه الذات؛ فباطل؛ لأنه أضافه إلى نفسه، والمضاف ليس كالمضاف إليه؛ لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه...».

وقال الكرمي (1) رحمه الله - في كتابه (أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات): ومذهب السلف أن الوجه صفة ثابتة لله ورد بها السمع فتتلقى بالقبول، ويبطل مذهب أهل التأويل ما قاله البيهقي والخطابي في قوله تعالى {ويبقى وجه ربك ذو الجلال} فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال {ذو الجلال} ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال ذي الجلال، فلما قال {ذو الجلال} علمنا أنه نعت للوجه، وأن الوجه صفة للذات، وقالت الحنابلة لتأييد مذهب السلف: إنه قد ثبت في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات فأما في الحيوان فذلك مشهور حقيقة ولا يمكن دفعه، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضا لأنه يقال فلان وجه القوم لا يراد به ذوات القوم إذ ذوات القوم غيره قطعاً، ويقال هذا وجه الثوب لما هو أجوده، ويقال هذا وجه الرأى أي أصحه وأقومه، وأتيت بالخبر على وجهه أي على حقيقته إلى غير ذلك مما يقال فيه الوجه، فإذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب أن يحمل الوجه في حق الباري على وجه يليق به صفة زائدة على تسمية قولنا ذات. انتهى.

قال الإمام ابن خزيمة في إثبات صفة الوجه لله عز وجل: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبتته الله لنفسه، نقر ذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين. {كتاب التوحيد لابن خزيمة}.

قال ابن كثير في معرض تفسيره لقوله تعالى {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس [قال البغوي وأبو موسى وعبد بن الصامت] وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، عن رسول الله ﷺ انتهى الاقتباس من تفسير ابن كثير.

وأخرج اللالكاني والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} (يونس 26) قال: (الزيادة: النظر إلى وجه الله).

وأما رواية الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى {ويبقى وجه ربك} قال: يبقى ما يريد به وجهه. فلا يثبت عن ابن عباس والضحاك لم يلق ابن عباس فضلاً عن أن سند الرواية عنه ضعيف.

وقال الإمام الطبري في كتابه: "التبصير في معالم الدين": "فإن قال لنا قائل: فما الصواب في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عز وجل ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قيل: الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة

1 - مرعي بن يوسف الكرمي فقيه ومحدث ومفسر يوفي (1033هـ) شيخ الحنابلة في عصره من مؤلفاته "غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى".

الإثبات ونفي التشبيه ، كما نفى عن نفسه جل ثناؤه فقال : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } إلى أن قال : " فنثبت كل هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار والكتاب والتنزيل على ما يُعقل من حقيقة الإثبات ، وننفي عنه التشبيه فنقول : يسمع جل ثناؤه الأصوات ، لا بخرق في أذن ، ولا جارحة كجوارح بني آدم . وكذلك يبصر الأشخاص ببصر لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم. وله يدان ويمين وأصابع ، وليست جارحة ، ولكن يدان مبسوطتان بالنعيم على الخلق ، لا مقبوضتان عن الخير ، ووجه لا كجوارح بني آدم التي من لحم ودم. ونقول : يضحك إلى من شاء من خلقه ، لا تقول: إن ذلك كشر عن أنياب ، ويهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا " انتهى

فالوجه ثابت لله عز وجل في كتابه الكريم، وفي سنة نبيه العظيم عليه الصلاة والسلام، وأجمع على ذلك سلفنا رضي الله تبارك وتعالى عنهم، وخالف في ذلك المتأخرون، أو خالف في ذلك الخلف جميعاً. وصفة الوجه لله عز وجل صفة ذاتية خبرية، وليست صفة فعلية، بل هي صفة ذاتية، بمعنى أنها لازمة لذاته منذ الأزل وإلى الأبد، فهي لازمة له أولاً وأخراً ولا تنفك عنه، فهي ليست من صفات الأفعال التي إذا شاء الله تعالى فعلها وإذا شاء لم يفعلها كصفة الكلام والضحك والغضب والإتيان والمجيء والسرور والفرح، وغير ذلك، فهذه صفات فعلية إذا شاء فعلها وإذا شاء لم يفعلها، بخلاف الصفات الذاتية اللازمة له، والتي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى.

وثبتت هذه الصفة كغيرها من الصفات الخبرية بكتاب الله عز وجل، قال: [قال الله عز وجل ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:27]] فهذه الآية أثبتت أن الله تبارك وتعالى وجهاً. قال: [وقال ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:88]]. أي: وجه الله تبارك وتعالى. قال: [عن أبي موسى: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه -يعني: يخفض الميزان ويرفعه- يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفها -أي: لو كشف هذا الحجاب- لأحرقت سبحات وجهه (زاد عبد الله): كل شيء أدركه بصره .] (فأثبت في هذا الحديث أن له وجهاً. وقال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل : (ما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) ، فإذا رفع هذا الحجاب رأى الناس ربهم تبارك وتعالى وذلك في الآخرة. أي المؤمنون.

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل عند البخاري ومسلم في أبواب رؤية الرب تبارك وتعالى لأهل الإيمان.

ويقول ابن عثيمين- رحمه الله- : إن قلت المراد بالوجه الذات فيخشى أن تكون حرفت، وهذا التحريف يستلزم التعطيل، وإن أردت بالوجه نفس الصفة -أي: صفة الوجه- وقعت في محذور، وهو ما ذهب إليه بعض من لا يقدر على حق قدره حيث قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه. يقول: والجواب: إن أردت بقولك إلا ذاته يعني: أن الله تعالى يبقى هو نفسه مع إثبات الوجه لله، فهذا صحيح، ويكون هنا عبر بالوجه عن الذات لمن له وجه. أي: بذات لها وجه. وإن أردت بقولك الذات: أن الوجه عبارة عن الذات بدون إثبات الوجه، فهذا تحريف وهو غير مقبول. أي: أن ابن عثيمين مشى على قاعدة: أن السلف يثبتون الصفة ولازمها، فهو يقول: إذا أردت بالوجه الذات فلا بأس بهذا المراد إذا كنت تثبت أن هذه الذات لها وجه، وأما إذا قصدت أن الوجه هنا يعني الذات المجردة عن الصفة فهذا تحريف وتعطيل.

إذاً: لا بأس أن تقصد بالوجه الذات، ولكن مع الإيمان بأن هذه الذات لها وجه.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: (حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) وسبحات وجهه أي: بهاءه وعظمته وجلاله ونوره.

وقوله: (ما انتهى إليه بصره من خلقه) فبصره ينتهي إلى كل شيء. يعني: لو أن الله كشف هذا الحجاب -الذي هو من نور- لأحرقت سبحات وجهه جميع المخلوقين؛ لأن بصره ينتهي إلى جميع المخلوقين، وعليه فلو كشف الله هذا الحجاب -الذي هو النور أو النار- لاحترق كل شيء في الأرض. ولهذا نقول: هذا الوجه وجه عظيم، ولا يمكن أبداً أن يماثل أوجه المخلوقات.

وبناء على هذا نقول: من عقيدتنا أننا نثبت أن لله وجهاً حقيقة، وقد أخذنا هذا وناخذ من قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:27]. وهذا الوجه لا يماثل أوجه المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:11]. فهذا نفى للمثلية بين الخالق والمخلوق، ونحن نجعل كيفية هذا الوجه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:110].

فإن حاول أحد أن يتصور هذه الكيفية بقلبه، أو أن يتحدث عنها بلسانه فهو مبتدع ضال؛ لأن هذا ليس طريق السلف، وهو قول علي الله من غير علم، وقد حرم الله علينا أن نقول عليه ما لا نعلم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:33] فالتعرض لذكر كيفية الوجه لله عز وجل قول علي الله بغير علم.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:36] أي: أنك مسئول على كل هؤلاء.

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين في تفسيره " وقوله تعالى: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} فيه إثبات الوجه لله - سبحانه وتعالى - ولكنه وجه لا يشبه أوجه المخلوقين، لقوله تعالى: {ليس كمثلته شيء} وهو السميع البصير { يعني أنت تؤمن بأن لله وجهاً، لكن يجب أن تؤمن بأنه لا يماثل أوجه المخلوقين بأي حال من الأحوال، لقوله تعالى: {ليس كمثلته شيء} وهو السميع البصير { ولما ظن بعض أهل التعطيل أن إثبات الوجه يستلزم التمثيل أنكروا أن يكون لله وقالوا: المراد بقوله {ويبقى وجه ربك} أي ثوابه، أو أن كلمة {وجه} زائدة، وأن المعنى: ويبقى ربك! ولكنهم ضلوا سواء السبيل، وخرجوا عن ظاهر القرآن وحرفوه وخرجوا عن طريق السلف الصالح، ونحن نقول: إن لله وجهاً، لإثباته له في هذه الآية، ولا يماثل أوجه المخلوقين لنفي المماثلة في قوله: {ليس كمثلته شيء} وهو السميع البصير { وبذلك نسلم ونجري النصوص على ظاهرها، المراد بها، وقوله: {ذو الجلال} أي: ذو العظمة {والإكرام} أي: إكرام من يطيع الله - عز وجل - كما قال تعالى: {أولئك في جنات مكرمون} فالإكرام أي أنه يكرم من يستحق الإكرام من خلقه، ويحتمل أن يكون لها معنى آخر وهو أنه يُكْرَم من أهل العبادة من خلقه، فيكون الإكرام هذا المصدر صالحاً للمفعول والفاعل، فهو مكرم ومكرم "

وقال أيضاً: "الحلف باسم من أسماء الله فهذه واضحة، مثل: والله، والرحمن، والعزیز، والسميع، وابصير، كذلك بصفة من صفاته مثل: وعزة الله لأفعلن كذا وكذا، أما الصفات الخبرية المحضة فلا يحلف بها إلا الوجه؛ فلا يحلف بيد الله مثلاً ولا بعين الله، إلا الوجه، لأن الوجه يطلق على الذات كما في قوله تعالى: { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }، { كل شيء هالك إلا وجهه }.

فيجوز أن يحلف بوجه الله، فيقول: ووجه الله، أو بوجه الله لأفعلن كذا وكذا.

الأسماء إذن يحلف بها، الصفات المعنوية يحلف بها،

الصفات الخبرية المحضة كالوجه، واليدين، والعينين، واليدين، والساق، والقدم لا يحلف بها إلا الوجه، ووجه التفريق بينه وبين غيره أن الوجه يطلق على الذات، فلو قال: بوجه الله، فكأنما قال: بالله. (من تعليق الشيخ على "القواعد والأصول الجامعة").

وقوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: إليه يَفْزَعُ بمسألة الحاجات كل من في السموات والأرض، من ملك وإنس وجن وغيرهم، لا غنى بأحد منهم عنه. أخرج الطبري عن قتادة، قوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (1)، لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحْيِي حَيَا، وَيُمِيت مِيتَا، ويربي صغيرا، ويدلّ كبيراً، وهو مسأل حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار.

1 - مراتب التقدير يعني مراتب الكتابة.

فالله - عز وجل - جعل كتابته للأشياء لها خمس أحوال:

1- الكتابة الأولى: وهي أولها وأقدمها وأعظمها كتابةً الله - عز وجل - مقادير الخلاق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، وهذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق، وهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

فيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر.

2- الكتابة الثانية: كتابة لمقادير الخلق من حيث الشقاوة والسعادة، ونعني بالخلق خاصة المكلفين.

وهذه التي تأتي فيها أحاديث الميثاق وأن الله - عز وجل - استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهينة الذر وأخذ عليه أن لا يشركوا به شيئاً سبحانه وتعالى، وقبض قبضة إلى الجنة وقبضة إلى النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار، ونحو ذلك مما جاء في السنة من بيان ذلك.

هذا تقدير بعد الأول، وهو قبل أن يُخْلَقَ جنس المكلفين أي من الإنسان.

لما خلق الله - عز وجل - آدم حصل ذلك، حصل هذا التقدير العام لهم.

3- الكتابة الثالثة: وهي التقدير العمري، والعمرى هو الذي يكون والإنسان في بطن أمه فإن النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملك، فأمره الله - عز وجل - بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد.

وهذه أيضاً جاءت في حديث ابن مسعود المشهور الذي فيه (أن الملك يأتي بعد أربعين وأربعين وأربعين؛ يعني بعد عشرين ومائة، فيأتي فيكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد، يؤمر بكتب هذه الكلمات الأربع).

هذه الكتابة العمرية هي تفصيل لما في اللوح المحفوظ، لأن الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا متعلق بهذا المخلوق المعين وحده.

لهذا قال العلماء: إن هذه تفصيل، فذاك فيه الجميع، وهذا للإنسان المعين بخصوصه، قالوا تفصيل ولك أن تقول تخصيص.

4- الكتابة الرابعة: الكتابة السنوية، والكتابة السنوية هي التي تكون في ليلة القدر قال - عز وجل - {حم} (1)

وَالكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {الدخان: 1-4}.

وهذه تكتب فيها المقادير في تلك السنة.

من السنة إلى السنة.

إيش معنى ذلك؟

معناها أن الله - عز وجل - يوحى إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

5- الكتابة الخامسة: هي التقدير الأخير وهي التقدير اليومي.

واستدل له أهل العلم بقوله سبحانه {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} {الرحمن: 29}.

إذا تبيّن هذه المراتب فإنه قد ثبت في السنة أن الله - عز وجل - يزيد في العمر، ينسأ في الأثر، يبسط في الرزق، فقال صلى الله عليه وسلم «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (3) يعني الرزق صار يتغير والأثر العمر صار يتغير، وقال أيضاً في الحديث الآخر «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» (4) فمعناه فيه حرمان لبعض الرزق.

وهذا معنى قول الله - عز وجل - في آية سورة الرعد {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} {الرعد: 39}.

فنظر أهل العلم في ذلك فقالوا:

وعن ابن عباس، قوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال: يعني مسألة عباده إياه الرزق والموت والحياة، كل يوم هو في ذلك. وقوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)، يقول تعالى ذكره: هو كل يوم في شأن خلقه، فيفرج كرب ذي كرب، ويرفع قوما، ويخفض آخرين، وغير ذلك من شئون خلقه. وأخرج الطبري عن عبيد بن عمير، (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال: يجيب داعيا، ويعطي سائلا أو يفك عانيا، أو يشفي سقيما. وعن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعيا، ويكشف كربا، ويجيب مضطرا، ويغفر ذنبا. وعن قتادة قال: يخلق مخلقا، ويميت ميتا، ويحدث أمرا.

قال الطاهر بن عاشور: " والمعنى أن الناس تنقرض منهم أجيال وتبقى أجيال وكل باقٍ محتاج إلى أسباب بقائه وصلاح أحواله فهم في حاجة إلى الذي لا يفنى وهو غير محتاج إليهم. ولما أفضى الإخبار إلى حاجة الناس إليه تعالى أتبع بأن الاحتياج عام أهل الأرض وأهل السماء. فالجميع يسألونه، فسؤال أهل السماوات وهم الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ويسألون رضى الله تعالى، ومن في الأرض وهم البشر يسألونه نعم الحياة والنجاة في الآخرة ورفع الدرجات في الآخرة. وحذف مفعول { يسئله } لإفادة التعميم، أي يسألونه حوائجهم ومهامهم من طلوع الشمس إلى غروبها".

وقال العدوي: " وهذه الآية تبين لك عظمة ربك سبحانه وتعالى، فكل شيء في السماوات والأرض يسأل الله، أنا وأنت وأبي وأبوك وأخي وأخوك وأمي وأمك والخلائق أجمعون، الشمس والقمر،

إنَّ المراتب الثلاث الأولى هذه لا تتغير ولا تتبدل؛ يعني:

- الأول السابق القديم الذي في اللوح المحفوظ.

- وهؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار.

- وكذلك كتب الملك الكلمات الأربع.

لهذا جاء في آخر الحديث مؤكداً صلى الله عليه وسلم على أنها لا تتغير «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (5)، الثلاث الأولى هذه ما تتغير. إيش الذي يتغير ويتبدل ويحدث فيه المحو والإثبات والزيادة إلى آخره ويؤثر فيه الدعاء وتؤثر فيه الأعمال الصالحة؟

هذا التقدير السنوي.

والتقدير السنوي في الحقيقة هو من التقدير الأول.

هو من اللوح المحفوظ؛ لكنه في اللوح المحفوظ وجد معلقاً فصار بأيدي الملائكة معلقاً.

وأما التقدير العمري فهو ما فيه النهاية؛ يعني ما كتبه الله - عز وجل - بما فيه نهاية العبد وما فيه نتيجة أثر الدعاء وأثر الأعمال إلى آخره مما قد يكون مُنْعِيراً.

إذاً فقوله - عز وجل - {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ} يعني مما في أيدي الملائكة من الصحف {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ

وَيُنْبِئُ} وكذلك من التقدير اليومي.

إذا كان كذلك فهذا به تفهيم الأحاديث التي فيها تغيير الرزق وتغيير العمر والنسء في الأثر أو حرمان الرزق بالذنوب

ونحو ذلك "

وقد ورد عن ابن مسعود أنه قال (اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني واثبتني في أهل السعادة) المعجم

الكبير (8847)

الملائكة والجن، والسمك والحيتان، والجراد والنمل والقمل والدود، كل ذلك يسأل الله سبحانه وتعالى في آن واحد، والله يجيبه، والله يسمعه، ويعلم سره ونجواه.
 أما أنا وأنت إذا حدثنا شخصان في آن واحد، نقول لأحدهما: اسكت، حتى ينتهي الآخر من حديثه، حتى أفهم مراده؛ لأنه كما قال سبحانه: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } [الأحزاب:4].
 لكن ربنا سبحانه وتعالى ليس كذلك، فكل من في السماوات والأرض يسألون ربهم، وهو يسمعهم ويجيبهم".

وقال الطاهر بن عاشور: " و { يوم } مستعمل مجازاً في الوقت بعلاقة الإطلاق ، إذ المعنى : كل وقت من الأوقات ولو لحظة ، وليس المراد باليوم الوقت الخاص الذي يمتد من الفجر إلى الغروب . وإطلاق اليوم ونحوه على مطلق الزمان كثير في كلام العرب كقولهم : الدهر يومان يوم نغم ويوم بُؤس "

قال ابن عثيمين " يسأل الله من في السماوات والأرض، والذي في السماوات هم الملائكة يسألون الله - عز وجل - ومن سألهم أنهم {ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم } إلى آخره، ويسأله من في الأرض من الخلائق، وسؤال أهل الأرض لله - عز وجل - قسمان: الأول: السؤال بلسان المقال، وهذا إنما يكون من المؤمنين، فالمؤمن يسأل ربه دائماً حاجاته، لأنه يعلم أنه لا يقضيها إلا الله - عز وجل - وسؤال المؤمن ربه عبادة، سواء حصل مقصوده أم لم يحصل، فإذا قلت: يا رب أعطني كذا. فهذه عبادة، كما جاء في الحديث: «الدعاء عبادة». وقال تعالى {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } فقال {ادعوني} ثم قال: {إن الذين يستكبرون عن عبادتي} وهذا دليل على أن الدعاء عبادة، النوع الثاني: دعاء بلسان الحال، وهو أن كل مخلوق مفتقر إلى الله ينظر إلى رحمته، فالكفار مثلاً ينظرون إلى الغيث النازل من السماء، وإلى نبات الأرض، وإلى صحة الحيوان، وإلى كثرة الأرزاق وهم يعلمون أنهم لا يستطيعون أن يجدوا ذلك بأنفسهم، فهم إذن يسألون الله بلسان الحال، ولذلك إذا مستهم ضراء اضطروا إلى سؤال الله بلسان المقال {وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين}. {كل يوم هو في شأن } من يحصي الأيام؟ لا أحد إلا الله - عز وجل - ومن يحصي الشهور؟ لا أحد إلا الله - عز وجل - {كل يوم هو في شأن }، يعني فقيراً، ويفقر غنياً، ويمرض صحيحاً، ويشفي سقيماً، ويؤمن خائفاً ويخوف آمناً، وهلم جرا، كل يوم يفعل الله تعالى ذلك، هذه الشئون التي تتبدل عن حكمة ولا شك، قال الله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقتكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون } وقال تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى } فنحن نؤمن أن الله لا يقدر قدراً إلا لحكمة، لكن قد نعلم هذه الحكمة وقد لا نعلم، ولهذا قال: {كل يوم هو في شأن }، ولكن اعلم أيها المؤمن أن الله تعالى لا يقدر لك قدراً إلا كان خيراً لك، إن أصابتك ضراء فاصبر وانتظر الفرج، وقل: الحمد لله على كل حال. وكما يقال: دوام الحال من المحال، فينتظر الفرج فيكون خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس هذا لأحد إلا للمؤمن".

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: " أي: "بنطق أو حال ما يحتاجون إليه" نعم من الذي يستغني عن الله - جل وعلا-؟ كل الخلائق بحاجته، فهم يسألونه سواء كانوا من أهل السماوات من الملائكة وغيرهم، أو من أهل الأرض كل يسأل، ما يحتاجون إليه "من القوة على العبادة" هذا بالنسبة لأهل السماوات والأرض أيضاً "والرزق والمغفرة" هذا بالنسبة لأهل الأرض؛ لأن أهل السماوات لا يسألون الرزق ولا يسألون المغفرة، وإنما يسألون القوة على العبادة، وقد يسألون الرزق لأهل الأرض والمغفرة لهم {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [5] سورة الشورى] " وغير ذلك" فالمسألة لا شك أن كل إنسان بحاجة إلى خالقه ورزقه، بحاجة إلى ما يعنيه على أمر دينه ودنياه، ولا يمكن أن

يستغني الإنسان عن ربه طرفة عين، سواءً كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض، سواءً كان من الإنس أو الجن أو الدواب أو غيرهم.
 {كُلَّ يَوْمٍ} [(29) سورة الرحمن] يعني كل وقت {هُوَ فِي شَأْنٍ} المراد باليوم، ليس المراد به الزمن المحدد بأربع وعشرين ساعة، وإنما المراد به الوقت، كل الوقت مشغول في شأن من شئونه -جل وعلا-".

وقوله: (فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ) ، يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نَعَمٍ رَبِّكُمْ مَعِشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَرْفِهِ إِيَّاكُمْ فِي مَصَالِحِكُمْ، وَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ مِنْ تَقْلِيْبِهِ إِيَّاكُمْ، فِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَكُمْ تَكْذِبَانِ.

القول في تأويل قوله تعالى : { سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ (32) }
 قال ابن الجوزي : " قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر : «سَنَفْرُغُ» بنون مفتوحة . وقرأ ابن مسعود ، وعكرمة ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وعبد الوارث : [«سَيَفْرُغُ»] بياءٍ مفتوحة . وقرأ ابن السميع ، وابن يعمر ، وابن أبي عبلة ، وعاصم الجحدري ، عن عبد الوارث : «سَيَفْرُغُ» بضم الياء وفتح الراء . قال الفراء : هذا وعيد من الله تعالى ، لأنه لا يشغله شيء عن شيء ..
 قال الزجاج : الفراغ في اللغة على ضربين .
 أحدهما : الفراغ من شغل .

والآخر : القصد للشيء ، تقول : قد فرغت مما كنت فيه ، أي : قد زال شغلي به ، وتقول : سأتفرغ لفلان ، أي : سأجعله قصدي ، ومعنى الآية : سنقصد لحسابكم . فأما «الثَّقَلَانِ» فهما الجن والإنس ، سُمِّيَا بذلك لأنهما ثقل الأرض " . واختار ابن القيم المعنى الثاني .
 قال الطبري : " اختلفت القراء في قراءة قوله : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ) فقراءته عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض المكيين (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) بالنون . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (سَيَفْرُغُ لَكُمْ) بالياء ، وفتحها رداً على قوله : (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، ولم يقل : يسألنا من في السموات ، فاتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدد، كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه، لاتفرغن لك، وسأتفرغ لك، بمعنى: سأجد في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل للذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لثمتي: أي أخذت فيه، وأقبلت عليه، وكذلك قوله جل ثناؤه: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) : سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة " .

واخرج عن ابن عباس، قوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ) ، قال: وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ.

وعن قتادة أنه تلا (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ) قال: دنا من الله فراغ لخلقه.

وعن سعيد بن جبير : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) ، يقول: سأقصد لحسابكم.

وعن الحسن البصري : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) مما أوعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم، وننجز لكم ما وعدناكم، ونوصل كلاً إلى ما وعدناه، فبتم ذلك، ويفرغ منه.

وقال مقاتل بن سليمان: (سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ)، يعني: سَنَفَرُغُ لحساب الإنس والجن، ولم يَعْنِ به الشياطين؛ لأنهم هم أَعْوُوا الإنس والجن، وهذا من كلام العرب يقول: سَأَفَرُغُ لك. وإنه لفارغ قبل ذلك، وهذا تهديد، والله تعالى لا يَشْغَلُهُ شيء، يقول: سَيَفَرُغُ اللهُ في الآخرة لحسابكم، أيها الثَّقَلَانِ. عن جعفر بن محمد الصادق: (سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) سُمي الجن والإنس: ثَقَلَيْنِ؛ لأنهما مُثَقَلَانِ بالذنوب. (تفسير الثعلبي والبغوي).

وقال مقاتل بن سليمان: (سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) ... يعني: الجن والإنس.

قال الطاهر بن عاشور: " والفراغ للشيء: الخلو عما يشغل عنه، وهو تمثيل للاعتناء بالشيء، شبه حال المقبل على عمل دون عمل آخر بحال الوعاء الذي أُفْرَغَ مما فيه ليُملاً بشيء آخر. وهذا التمثيل صالح للاستعمال في الاعتناء كما في قول أبي بكر الصديق لابنه عبد الرحمان أفرغ إلى أضيافك (أي تخل عن كل شغل لتشتغل بأضيافك وتتوفر على قراهم) وصالح للاستعمال في الوعيد. ... وقرأ الجمهور {سنفرغ} بالنون. وقرأه حمزة والكسائي بالياء المفتوحة على أن الضمير عائد إلى الله تعالى على طريقة الالتفات.

وكتب {أيه} في المصحف بهاء ليس بعدها ألف وهو رسم مراعى فيه حال النطق بالكلمة في الوصل إذ لا يوقف على مثله، فقرأها الجمهور بفتحة على الهاء دون ألف في حالتي الوصل والوقف. وقرأها أبو عمرو والكسائي بألف بعد الهاء في الوقف. وقرأه ابن عامر بضم الهاء تبعاً لضم الياء التي قبلها وهذا من الإتياع."

وقال البيضاوي: أي سننجد لحسابكم جزائكم يوم القيامة، وفيه تهديد، مستعار من قولك لمن تهدده: سَأَفَرُغُ لك، فإن المتجرد للشيء يكون أقوى عليه، وأجد فيه، والثقلان: الإنس والجن، سميا بذلك لثقلهما على الأرض."

وقال ابن عطية: " و " الثقلان " الإنس والجن ويقال لكل ما يعظم امره ثقل ومنه " {أخرجت الأرض أثقالها} (الزلزلة 2) وقال النبي عليه السلام (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)". وقيل سموا بذلك لان الذنوب تثقلهم وقيل لعظم شأنهم بالنسبة لبقية المخلوقات على الأرض لانهم اهل الاختبار والامتحان وهم محل الثواب والعقاب.

وقال الشيخ ابن عثيمين: " هذه الجملة المقصود بها الوعيد، كما يقول قائل لمن يتوعده سَأَفَرُغُ لك، وأجازيك. وليس المعنى أن الله تعالى يشغله شأن عن شأن ثم يفرغ من هذا، ويأتي إلى هذا، هو سبحانه يدبر كل شيء في آن واحد في مشارق الأرض ومغاربها وفي السماوات، وفي كل مكان يدبره في آن واحد، ولا يعجزه. فلا تتوهم أن قوله: {سنفرغ} أنه الآن مشغول وسيفرغ. بل هذه جملة وعيدية تعبر بها العرب، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وفي قوله: {سنفرغ لكم} من التعظيم ما هو ظاهر حيث أتى بضمير الجمع، {سنفرغ} تعظيماً لنفسه - جل وعلا - وإلا فهو واحد."

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: " سنقصد لحسابكم، وإلا فالله -جل وعلا- لا ينشغل بشيء؛ لأن مقتضى الفراغ أن يكون مشغولاً بما قبله، الفراغ للشيء مقتضاه أن يكون مشغولاً بما قبله، وهذا لائق بالمخلوق، لكنه لا يليق بالله -جل وعلا-، وإنما المراد به سنقصد لحسابكم؛ لأنه مع كونه -جل وعلا- كل يوم في شأن بالنسبة لآحاد الناس وأفرادهم، لآحاد الخلائق كلها، يصرف أمورها، لكنه لم ينشغل بذلك -جل وعلا-، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [سورة يس] فلا يقتضي ذلك شغلاً منه حتى يفرغ منه، لا، قال: سنقصد لحسابكم، وإنما جاء الخطاب على حسب ما يفهمون."

وقال القرطبي: " هذه السورة و (الاحقاف) و (قل أوحى) دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شئ من ذلك ".

وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

قال الطبري: " فبأي نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعمها عليكم، من ثوابه أهل طاعته، وعقابه أهل معصيته تكذبان؟".

وقال الطاهر بن عاشور: " تكرير لنظائره وليس هو خطاباً للثقلين ولا تذييلاً للجملة التي قبله إذ ليس في الجملة التي قبله ذكر نعمة على الثقلين بل هي تهديد لهما ".

قوله تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) }

جاء في موسوعة التفسير " اختلف في قوله: (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا) على أقوال :

الأول: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا. وهو مروى عن ابن عباس الثاني: معناه: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهربوا واخرجوا منها، لكنكم لا تقدرن. وهو مروى عن الضحاك

الثالث: معنى قوله: (لا تنفذون) لا تخرجون من سلطاني. وهو مروى عن ابن عباس أيضا

الرابع: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السماوات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا. وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة.

وقد ذكر ابن القيم الأقوال الثلاثة الأولى، ثم وجهها بقوله: « وهذه الأقوال على أن يكون الخطاب لهم بهذا القول في الدنيا. » ثم رجح -مستنداً إلى النظائر، والسياق، وإلى الدلالة العقلية -القول الرابع، فقال: « وفي الآية تقرير آخر، وهو أن يكون هذا الخطاب في الآخرة إذا أحاطت الملائكة بأقطار الأرض، وأحاط سرادق النار بالآفاق، فهرب الخلائق، فلا يجدون مهرباً ولا منفذاً، كما قال تعالى: (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تئولون مُدْبِرِينَ) [غافر: ٣٢-٣٣] ... وهذا القول أظهر ... وكأن ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على هذا القول، فإن قبلها: (سَنَفْرُغُ) الآية، وهذا في الآخرة، وبعدها: (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)، وهذا في الآخرة. وأيضاً فإن هذا خطاب لجميع الإنس والجن، فإنه أتى فيه بصيغة العموم وهي قوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) فلا بد أن يشترك الكل في سماع هذا الخطاب ومضمونه، وهذا إنما يكون إذا جمعهم الله في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر". وهو مروى عن الضحاك أيضا

قال ابن جرير: " فقال بعضهم: معنى ذلك: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السماوات والأرض،

فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم؛ فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسُلطان من ربكم. قالوا: وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم أيها الثقلان، فيقال لهم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا)". وهو قول الضحاك

وقال الطاهر بن عاشور: " والمعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد .

وهذا إعلان لهم بأنهم في قبضة الله تعالى لا يجدون منجى منها، وهو ترويع للضالين والمضلين من الجن والانس بما يترقبهم من الجزاء السيء لأن مثل هذا لا يقال لجمع مختلط إلا والمقصود أهل

الجنابة منهم فقلوه : { يا معشر الجن والإنس } عام مراد به الخصوص بقريظة قوله بعده { يرسل عليكم شواظ } [الرحمن : 35] الخ .

والنفوذ والنفاد : جواز شيء عن شيء وخروجه منه . والشرط مستعمل في التعجيز ، وكذلك الأمر الذي هو جواب هذا الشرط من قوله : { فأنفذوا } ، أي وأنتم لا تستطيعون الهروب .

والمعنى : إن قدرتم على الانفلات من هذا الموقف فافلتوا . وهذا مؤذن بالتعريض بالتخويف مما سيظهر في ذلك الموقف من العقاب لأهل التضليل .

والأقطار : جمع فُطر بضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية الواسعة من المكان الأوسع ، وتقدم في قوله تعالى : { ولو دخلت عليهم من أقطارها } في سورة الأحزاب (14) .

وذكر السماوات والأرض لتحقيق إحاطة الجهات كلها تحقيقاً للتعجيز ، أي فهذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم فأخرجوا من جهة منها فراراً من موقفكم هذا ، وذلك أن تعدد الأمكنة يسهل الهروب من إحدى جهاتها .

والأرض المذكورة هنا إما أن تكون الأرض التي في الدنيا وذلك حين البعث ، وإما أن تكون أرض

الحشر وهي التي سماها القرآن الساهرة في سورة النازعات (14) ، وقال تعالى : { يوم تبدل

الأرض غير الأرض والسماوات } [إبراهيم : 48] ، وإما أن يكون ذلك جارياً مجرى المثل المستعمل للمبالغة في إحاطة الجهات كقول أبي بكر الصديق : «أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني» .

قال ابو حيان : " وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ ، عَلَى خُطَابِ تَشْيِئَةِ الثَّقَلَيْنِ وَمَرَاعَاةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْجُمْهُورِ : عَلَى خُطَابِ الْجَمَاعَةِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا تَحْتَهُ أَفْرَادٌ كَثِيرَةٌ ، كَقَوْلِهِ : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا } [الحجرات (9)] " .

قوله تعالى { لا تنفذون إلا بسلطان }

في قوله : (إلا بسلطان) أقوال : الأول : ببيتة فقد روى ابن جرير عن ابن عباس ، في قوله : (يامعشر

الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)

يقول : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه ، لن تعلموه إلا بسلطان ، يعني البيئنة من الله جل ثناؤه .

الثاني : بحجة وهو قول مجاهد وعكرمة .

الثالث : بملك فقد روى ابن جرير عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - (لا تنفذون إلا بسلطان) ،

قال : إلا بملك من الله .

ووجه ابن عطية القول الثاني ، فقال : " والسلطان : هو القوة على غرض الإنسان ، ولا يستعمل إلا في الأعظم من الأمر والحجج أبداً من القوي في الأمور ، ولذلك يعبر كثير من المفسرين عن السلطان بأنه الحجة " .

قال ابن جرير : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : إلا بحجة وبينه ، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب ، وقد يدخل الملك في ذلك ، لأن الملك حجة " .

وروى ابن جرير عن سفيان (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) قال : من أطرافها . وقوله جل ثناؤه (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يقول : من أطرافها .

وقال الطاهر بن عاشور : " وهذه المعاني لا تتنافى ، وهي من حد إعجاز القرآن .

وجملة { لا تنفذون إلا بسلطان } بيان للتعجيز الذي في الجملة قبله فإن السلطان : القدرة ، أي لا تنفذون من هذا المأزق إلا بقدرة عظيمة تفوق قدرة الله الذي حشركم لهذا الموقف ، وأنى لكم هاته القوة .

وهذا على طريق قوله : { وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون } [الشعراء : 210 ، 211] ، أي ما صعدوا إلى السماء فيتنزلوا به .

وقال الصابوني: " ((جنح بعض المتأخرين في هذه الأيام إلى تفسير الآية تفسيراً خاطئاً فزعموا أن الإنسان يمكنه الصعود إلى السموات وفسروا " السلطان " بالعلم وهو مخالف لأقوال المفسرين ، ويرده سياق الآية وسباقها ، فإن الآية سيقت لبيان أهوال الآخرة وشدائدها بدليل قوله تعالى قبلها : { سنفرغ لكم آية الثقلان } وقوله بعدها : { يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس } وقد اتفق المفسرون على أنها في الآخرة "

قال العدوي : " وبهذه الآية وبضمينتها في سورة (ص) استدل الشنقيطي رحمه الله تعالى على بطلان المدعى الذي فحواه: أن الإنسان صعد إلى القمر، ووصف هذه الأقوال بأنها أكاذيب، محتجاً بقوله تعالى: { أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } [ص:10] والارتقاء: الصعود، والأسباب: الطرق الموصلة إلى السماء، ثم قال تعالى: { جُنْدٌ مَّا } [ص:11] نُكِرَ الْجُنْدُ لِلتَّعْمِيمِ، { جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ } [ص:11] ، أي: أن من يفكر في غزو السماء واختراق السماء الدنيا محكوم عليه بالهزيمة، كما قال تعالى: { جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ } [ص:11] ، واستظهر أيضاً بقوله تعالى في هذه السورة: { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ } [الرحمن:35] ، والله أعلم بصدق هذا المدعى الذي ادعوه وهو الصعود إلى القمر، فقد ثارت في بعض الأزمنة محاولات لغزو الفضاء يعرفها كبار السن منكم إبان التنافس في غزو الفضاء بين الروس والأمريكان، فقد كانت ترسل الأولى سفناً للفضاء والأخرى ترسل، وبعد زوال ما يسمى بالاتحاد السوفياتي، ماتت كل هذه الأشياء، ولم يعد لها الآن أي ذكر على الإطلاق.

وقد ذكر أن بعض الصينيين ألف كتاباً يثبت فيه: أن هذه كانت محاولات تجريها المخابرات الأمريكية والأمريكان في صحراء نيفادا، وليس للصعود على القمر حقيقة، فالله أعلم بصحة هذه الادعاءات، هو وحده سبحانه أعلم.

أما كوننا نجبر على تصديق الأمريكان في دعواهم فليس عندنا في ديننا ما يجبرنا على تصديقهم، فهم من حيث الأصل كفار، لهم أخبار تصدق وأخبار تكذب؛ إذ من شأنهم القول المشحون بالصدق مع الأكاذيب، وليس في ديننا ما يثبت ذلك، أما ما ينفيه فقد سمعتم ما ينفيه، والمسألة ما زالت محل نظر، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير : " يا معشر الجن والإنس هنا قدم الجن، وفي معارضة القرآن {لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ } [(88) سورة الإسراء] قدم الإنس، لماذا قدم الإنس هناك و قدم الجن هنا؟ هناك في المعارضة المسألة تحتاج إلى فصاحة وبيان والإنس بها أليق، فقدموا، وهنا: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} [(33) سورة الرحمن] هنا فيه ما يحتاج إلى قدرة والجن في مثل هذا أقدر من الإنس، يعني النفوذ إلى جهة العلو قدرة الجن أعظم من قدرة الإنس عليها بدليل أنهم يسترقون السمع، يعني كانوا يسترقون السمع وما حصل هذا من الإنس، هل استطاع إنسي أن يصعد إلى السماء فيسترق السمع؟ ما استطاع، فقدم الجن هنا: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} [(33) سورة الرحمن] تخرجوا {مِنْ أَقْطَارِ} [(33) سورة الرحمن] من "نواحي" السماوات والأرض {فَانفُذُوا} [(33) سورة الرحمن] أمر تعجيز، {لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} يعني بقوة، ولا قوة لكم على ذلك {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [(33) سورة الرحمن] والكفار لما صنعوا ما صنعوا من المراكب الفضائية، وزعموا وادعوا أنهم وصلوا إلى الكواكب، وصلوا إلى القمر، وصلوا إلى المريخ، وصلوا إلى كذا، وقال من يستدل لهم بأن هذا ممكن أن عندهم سلطان، عندهم سلطان العلم، ووصلوا بواسطته ونفذوا، وهذا على القول بأن

القمر في السماء، كما هو مفاد قوله -جل وعلا-: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} [16] سورة نوح] يعني هو في السماء، يقولون: وصلوا إلى القمر وهو في السماء، وهل هو في السماء الدنيا أو في ما فوقها؟ كلام طويل لأهل التفسير، ومنهم من يرى أن القمر دون السماء وحينئذ لا إشكال، هم ما نفذوا، والذي يقر أن القمر في السماء يقول: إنهم نفذوا لكن بسلطان، ولا شك أن هذا جهل وضلال؛ لأن الأمر ليس أمر إمكان، إنما هو أمر تعجيز، {إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} [33] سورة الرحمن] تخرجوا {مِنْ أَفْطَارٍ} [33] سورة الرحمن].

... {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} [33] سورة الرحمن] جمع وعندنا جن وإنس تثنية، النظر هنا إلى أفراد هذين الجنسيتين، فالجن جمع والإنس جمع فالنظر إلى مجموع الأفراد من الجنسيتين، ولذا قال: {تَنْفُذُوا} [33] سورة الرحمن] وقال: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [34] سورة الرحمن] تثنية، فنظر إلى الجنسيتين {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [9] سورة الحجرات] اقتتلوا جمع بالنظر إلى أفراد الطائفتين جمع، وبالنظر إلى الفريقين والطائفتين تثنية، وجاء هنا الجن والإنس تثنية، وأعيد الضمير عليهما أحيانا بالمتنى، وأحيانا بالجمع نظراً إلى هذا، فالتثنية نظر إلى الجنسيتين، والجمع نظر إلى أفراد الجنسيتين".

قال ابن جرير: " وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ، يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما تكذبان معشر الثقيلين التي أنعمت عليكم -من التسوية بين جميعكم، لا يقدر على خلاف أمر أراده بكم- تكذبان "

وقوله تعالى { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36)} قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا } فتنى على اللفظ . وقد جمع في قوله: { إن استطعتم } على المعنى . فأما «الشواظ» ففيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه لهب النار ، (قال ابن عباس : إِذَا حَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ ، سَاقَهُمْ شَوْاظٌ إِلَى الْمَحْشَرِ . وَالشَّوَاظُ : لَهَبُ النَّارِ) . وقال مجاهد : هو اللهب الأخضر المنقطع من النار . والثاني : الدخان ، قاله سعيد بن جبیر .

والثالث : النار المحضة ، قاله الفراء . وقال أبو عبيدة : هي النار التي تأجج لا دخان فيها ، ويقال : شواظ وشواظ . وقرأ ابن كثير بكسر الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهل البصرة : «ونحاس» بالخفض ، والباقون برفعهما "

قال ابو حيان : " قَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : نُرْسِلُ بِالنُّونِ ، عَلَيْنِ كَمَا شَوْاظًا بِالنَّصْبِ ، مِنْ نَارٍ وَنُحَاسًا بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى شَوْاظًا . "

قال ابن الجوزي: " وفي «النحاس» قولان .

أحدهما : أنه دخان النار ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبیر ، والفراء وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج ، ومنه قول الجعدي يذكر امرأة : نُضِيءُ كَضْوَاءِ سِرَاجِ السَّلِيِّ ... طِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا وذكر الفراء في السليط ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه دهن السنام ، وليس له دخان إذا استُصْبِحَ به .

والثاني : أنه دهن السمسم .

والثالث : الزيت .

والثاني : أنه الصُّفْرُ المُذَابُ يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة . قال مقاتل : والمراد بالآية : كفار الجن والإنس ، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصفْرُ الذائب ."

وقال ابن جرير : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ أَنَّهُ يَرْسَلُ عَلَى هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ النَّارُ الْمُحَضَّةُ الَّتِي لَا يَخْلُطُهَا دُخَانٌ. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالْكَلَامِ أَنَّهُ تَوَعَّدَهُمْ بِنَارٍ هَذِهِ صِفَتُهَا أَنْ يُتَّبَعَ ذَلِكَ الْوَعْدَ بِمَا هُوَ خِلَافُهَا مِنْ نَوْعِهَا مِنَ الْعَذَابِ، دُونَ مَا هُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا، وَذَلِكَ هُوَ الدُّخَانُ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي الدُّخَانَ نَحَاسًا بِضَمِّ النُّونِ، وَنَحَاسًا بِكَسْرِهَا، وَالْقُرَاءُ مَجْمَعَةٌ عَلَى ضَمِّهَا (أَيِ إِنْ لَفِظَةُ نَحَاسٍ لُغَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ لَكُنْهَا لَمْ تَرُدْ فِي الْقُرْآنِ)، وَمِنَ النَّحَاسِ بِمَعْنَى الدُّخَانِ، قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي دُبْيَانَ: يَصُوءُ كَصُوءِ سِرَاجِ السَّلْيِ طُمْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نَحَاسًا يَعْنِي: دُخَانًا.

وقوله: (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) يقول تعالى ذكره: فلا تنتصران أيها الجن والإنس منه، إذا هو عاقبكما هذه العقوبة، ولا تستنقذان منه ."

وقال ابو حيان : " الْجُمْهُورُ وَنَحَاسٌ: بِالرَّفْعِ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَالنَّخَعِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: بِالْجَرِّ وَالْكَلْبِيُّ وَطَلْحَةُ وَمُجَاهِدٌ: بِكَسْرِ نُونِ نَحَاسٍ وَالسِّينِ. وَقَرَأَ ابْنُ جُبَيْرٍ: وَنَحْسٌ، كَمَا تَقُولُ: يَوْمَ نَحْسٌ". وقال ابن كثير : " ومعنى الآية لو ذهبتم هاربيين يوم القيامة ، لردتكم الملائكة وزبانية جهنم ، بإرسال اللهب من النار ، والنحاس المذاب عليكم ، لترجعوا فلا تجدون لكم ناصرا ."

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير : " والظاهر من النحاس أنه المادة التي هي الصفر المذاب النحاس معروف، النحاس معروف نوع من أنواع المواد الصلبة كالحديد والصفرة والفضة والذهب وغيره، لكنه هو نحاس، وخص النحاس لأنه هو الذي يقبل الحرارة بسرعة، ولا يفقدها بسرعة، والأمر الثاني: أنه هو أشد المواد حرارة إذا أحمي، فإذا أذيب وصب عليهم -نسأل الله السلامة والعافية- على أن المراد به النحاس المعدن المعروف .

{فَلَا تَنْتَصِرَانِ} [سورة الرحمن] يعني لا "تمتنعان من ذلك" لا تمتنعان من ذلك، من الذي يستطيع من الجن أو الإنس أن يمتنع من الشواظ والنحاس؟ لا يستطيع أحد ذلك "بل يسوقكم إلى المحشر" هذه النار تسوق الناس إلى المحشر، وهذا الذي جعل المفسر يختار أن النحاس هو الدخان، الشواظ اللهب الذي لا دخان معه، أو معه، والنحاس: الدخان الذي لا لهب فيه، يريد أن هذه نار تكون في آخر الزمان تحشر الناس إلى أرض المحشر، والذي يقول النحاس المراد به المعدن المعروف إذا أذيب يقول: هذا في النار {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [سورة الحج] وأيضاً مثل هذا النحاس يذاب ويصب عليهم، ومن استمع إلى الغناء جاء في الخبر: ((صب في أذنك يوم القيامة)) الرصاص المذاب -نسأل الله العافية-.

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [سورة الرحمن] الآلاء النعم، وما ذكر تخويف، تهويل، تشديد، فأى نعمة في هذه النار؟ وأي نعمة في هذا الرصاص؟ وأي نعمة ..؟ نعم الذي يعتبر ويتعظ ويرعوي ويخاف من سوء العاقبة تكون له نعمة، فالتخويف بمثل هذا نعمة، ولذا جاء: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} [سورة الرحمن] فهذه وإن كانت في ظاهرها نقم إلا أنها في باطنها نعم ."

قوله تعالى { فَأِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) } قال ابو حيان : " فَأِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ: جَوَابٌ إِذَا مَحْدُوفٌ، أَي فَمَا أَعْظَمَ الْهُوَلُ ."

{ فإذا انشقت السماء } أي فإذا انصدعت يوم القيامة لتنزل الملائكة منها ، لتحيط بالخلائق من كل جانب

{ فكانت وردة كالدهان } أي فكانت مثل الورد الأحمر من حرارة النار ، ومثل الأديم الأحمر أي الجلد الأحمر ، قاله ابن عباس ، وذلك من شدة الهول ، ومن رهبة ذلك اليوم العظيم.

قال القرطبي : "الدهان الدهن، عن مجاهد والضحاك وغيرهما.

والمعنى أنها صارت في صفاء الدهن، والدهان على هذا جمع دهن.

وقال سعيد بن جبير وقتادة: المعنى فكانت حمراء.

وقيل: المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من

حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لرققتها وذوبانها.

وقيل: الدهان الجلد الأحمر الصرف، ذكره أبو عبيد والفراء.

أي تصير السماء حمراء كالأديم لشدة حر النار.

وقال الحسن: (كالدهان) أي كصب الدهن فإنك إذا صببته ترى فيه ألوانا.

وقال زيد ابن أسلم: المعنى أنها تصير كعكر الزيت، وقيل: المعنى أنها تمر وتجيء.

قال الزجاج: أصل الواو والراء والذال للمجئ والاتيان.

وقال قتادة: إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر".

وقال ابن كثير: " وَقَوْلِهِ: {فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ} أَي: تَذُوبٌ كَمَا يَذُوبُ الدَّرْدِيُّ وَالْفِضَّةُ فِي السَّبَكِ،

وَتَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغُ الَّتِي يُدْهَنُ بِهَا، فَتَارَةٌ حَمْرَاءُ وَصَفْرَاءُ وَزُرْقَاءُ وَخَضْرَاءُ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ

الْأَمْرِ وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ".

فجمع بين الامرين بين كونها تذوب وبين كونها تتلون .

قال الشنقيطي: " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن السماء ستنشق يوم القيامة، وأنها إذا

انشقت صارت وردة كالدهان، وقوله: { وَرْدَةٌ } , أي حمراء كلون الورد، وقوله { كَالدَّهَانِ } , فيه قولان

معروفان للعلماء.

الأول منهما: أن الدهان هو الجلد الأحمر، وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة

للجلد الأحمر في لونه.

والثاني: أن الدهان هو ما يدهن به..

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر، يكون الله وصف السماء عند

انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبها بحمرة الورد، وحمرة الأديم الأحمر.

قال بعض أهل العلم: إنها يصل إليها حر النار فتحمر من شدة الحرارة.

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به، فإن الله وقد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما

حمرة لونها، والثاني أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن.

أما على القول الأول، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى

تكون كلون الجلد الأحمر.

وأما على القول الثاني الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة، فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع وذلك

في قوله تعالى في المعارج: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} [المعارج:8]،

والمهل شيء ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره، أو قلنا إنه الذائب من

حديد أو نحاس أو نحوهما.

وقد أوضح تعالى في الكهف أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى:

{وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوْا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف:29].

والقول بأن الوردية تشبيه الفرس الكميت وهو الأحمر لأن حمرة تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل، وتميل إلى الصفرة في فصل، وإلى الغبرة في فصل. وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تتلون بألوان مختلفة واضح البعد عن ظاهر الآية، وقول من قال: إنها تذهب وتجيء معناه له شاهد في كتاب الله، وذلك في قوله تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور:9]، ولكنه لا يخلو عندي من بعد.

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الانشقاق:1]، وقوله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ} [الحاقة:15-16] وقوله: {وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} [الفرقان:25]، وقوله: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار:1]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق:6].

وقال العدوي: " شبهت بالدهان من جانب، وبالوردية من جانب آخر. فلم تشقق السماء؟! قال الله سبحانه وتعالى: { وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } [الفرقان:25] فتتشقق السماء بالغمام وتنزل منها الملائكة. ومن أهل العلم من قال: إنها تتشقق لشدة الحر الذي فوقها، فتذوب كما يذوب الدهن الذي مسته الحرارة، فالدهن إذا مسته الحرارة سال وانصهر، وتحول من الحالة الجامدة إلى الحالة السائلة، وفي هذا التحول تحت النار الشديدة تعتريه ألوان، فيتلون أثناء تغيره من الحالة الجامدة إلى الحالة السائلة، فذلك السماء مما يعترىها من حر جهنم تسيل وتكون كالمهل، وتأخذ لون الورود لاحمرارها الزائد، وتتلون كما يتلون الدهن على حسب شدة لهب النار أو انخفاضها، فكلماً اعترها حر شديد أخذت لونها، وإذا اعترها حر آخر أخذت لونها آخر، والله سبحانه وتعالى أعلم ". وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره: فبأي قدرة ربكما معشر الجن والإنس - على ما أخبركم بأنه فاعل بكم- تكذبان.

قوله تعالى: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ } قال ابن الجوزي: "فيه ثلاثة أقوال .

أحدها: لا يسألون ليعلم حالهم ، لأن الله تعالى أعلم منهم بذلك .

والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لاشتغال كل واحد منهم بنفسه ، روي القولان عن ابن عباس .

والثالث: لا يسألون عن ذنوبهم لأنهم يعرفون بسيماهم ، فالكافر أسود الوجه ، والمؤمن أقر محجل من أثر وضوئه ، قاله الفراء . قال الزجاج: لا يسأل أحد عن ذنبه ليستفهم ، ولكنه يسأل سؤال توبيخ "

وقال ابن كثير: " وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ. وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } [المُرْسَلَات:35، 36] ، فَهَذَا فِي حَالٍ، وَتَمَّ حَالَ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ فِيهَا عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { فَوَرَبِّكَ لِنَسَأَلَنَّاهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الحجر:92، 93] ؛ وَلِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ } ، قَالَ: قَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ، ثُمَّ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا يُسْأَلُهُمْ: هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَقُولُ: لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ فَهُوَ قَوْلٌ ثَانٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَا يُسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمُجْرِمِ، يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ.

وَهَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ. وَكَأَنَّ هَذَا بَعْدَ مَا يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، بَلْ يُقَادُونَ إِلَيْهَا (3) وَيُلْقَوْنَ فِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} أَي: بِعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةَ: يَعْرِفُونَهُمْ بِأَسْوَدَادِ الْوُجُوهِ وَرِزْقَةِ الْعُيُونِ. قُلْتُ: وَهَذَا كَمَا يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ. وَقَوْلُهُ: {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} أَي: تَجْمَعُ الرِّبَايَةُ نَاصِيَتَهُ مَعَ قَدَمَيْهِ، وَيُلْقَوْنَهُ فِي النَّارِ كَذَلِكَ. وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ (4)، فَيُكْسَرُ كَمَا يُكْسَرُ الْحَطْبُ فِي التَّنُورِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ (5) فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْكَافِرِ وَقَدَمَيْهِ، فَتُرْبَطُ نَاصِيَتُهُ بِقَدَمَيْهِ، وَيُقْتَلُ ظَهْرُهُ ". قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ: " اعْلَمْ أَوْلَا: أَنْ لِلسُّوَالِ الْمُنْفِي فِي قَوْلِهِ هُنَا: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} ، وَقَوْلُهُ: {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: 78]، أَخْصَ مِنْ السُّوَالِ الْمَثْبُتِ فِي قَوْلِهِ: {فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ، لِأَنَّ هَذِهِ فِيهَا تَعْمِيمُ السُّوَالِ فِي كُلِّ عَمَلٍ، وَالْآيَاتَانِ قَبْلُهَا لَيْسَ فِيهِمَا نَفْيُ السُّوَالِ إِلَّا عَنِ الذُّنُوبِ خَاصَّةً، وَلِلْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْجُهٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ.

الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا، هو أن السؤال نوعان: أحدهما سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب، والثاني هو سؤال الاستخبار والاستعلام.

فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام، لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة: 6].

وعليه فالمعنى: {لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} ، سؤال استخبار واستعلام لأن الله أعلم بذنبه منه. والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106]، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: {وَقَفَّوْهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} [الصفوات: 24-26]، وقوله تعالى: {يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ، أَفَسِحْرٌ هَذَا} الآية [الطور: 13-15]، وقوله: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} [الأنعام: 130].

أما سؤال الموعودة في قوله: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} [التكوير: 8]، فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الندب، لأنها سئلت عن أي ذنب قتلت وهذا ليس من ذنوبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه، لأنها هي تقول لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً. وكذلك سؤال الرسل، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته".

وقال العدوي: " للعلماء في ذلك مسالك: أحد هذه المسالك: أن المواقف يوم القيامة تتعدد وتتنوع، فالיום كألف سنة مما تعدون، فلا يمتنع أن يسأل هؤلاء في موطن، ويترك سؤالهم في موطن آخر. والوجه الثاني من أوجه الجمع: أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل العبد المجرم: هل عملت كذا أو لم تعمل كذا؟ لكن إذا سئل سؤالاً للتوبيخ، وترك السؤال هو سؤال الاستفسار: هل عملت أم لم تعمل؟ أما هذا فقد يعكر عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله سبحانه وتعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس، ويقرره بذنوبه: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب! فيقول الله سبحانه: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} ".

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: " يريد أن يقرر أن السؤال ليس للمجموع، سؤال واحد، ما ذنوبكم أيها الإنس، ما ذنوبكم أيها الجن، لا، يسأل كل واحد بعينه.. لأن السؤال فردي ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)) فالسؤال إفرادي، يخلو الرب -جل وعلا- بعده ويقرره، ويسأله ويحاسبه، وجاء في الحديث الصحيح: ((من نوقش الحساب عذب)) ((من نوقش الحساب عذب)) قالت عائشة -رضي الله عنها-: "وماذا عن قوله -جل وعلا-: {فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [8] سورة الإنشقاق؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: ((ذلك العرض))، ((ذلك العرض)) يعني ما هو بحساب هو مجرد عرض على الله -جل وعلا- والله -جل وعلا- يعرض على العبد ويقرره ببعض ذنوبه ثم يسترها عليه ويغفرها له".

وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما معشر الثقلين، -التي أنعم عليكم من عدله فيكم، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرماً-.

قوله تعالى { يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) } قال ابن كثير: " وَهَذَا كَمَا يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ".

قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: { يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ } قال الحسن: بسواد الوجوه، وزرَق الأعين { فيؤخذ بالنواصي والأقدام } فيه قولان .

أحدهما: أن خزنة جهنم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم على وجوههم في النار، قاله مقاتل .

والثاني: يؤخذ بالنواصي والأقدام، فيسحبون إلى النار، ذكره الثعلبي . وروى مردويه الصانع، قال: صَلَّى بنا الإمام صلاة الصبح فقرأ سورة «الرحمن» ومعنا علي بن الفضيل بن عياض، فلما قرأ «يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ» خَرَّ عَلِيٌّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ حَتَّى فَرَّغْنَا مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَلْنَا لَهُ: أَمَا سَمِعْتَ الْإِمَامَ يَقْرَأُ «حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»؟ قَالَ: شَغَلَنِي عَنْهَا «يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» ."

وقال الشنقيطي: " قوله: {بِسِيمَاهُمْ} أي بعلامتهم المميزة لهم، وقد دل القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ} [آل عمران:106]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} [الزمر:60]، وقال تعالى: {وَتَرَاهُمْ ذَلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس:27]، وقال تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلِيهَا غَبْرَةٌ تَرَاهُهَا قَنْتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ} [عبس:42]، لأن معنى قوله: {تَرَاهُهَا قَنْتَرَةٌ} أي يعلوها ويغشاها سواد كالدخان الأسود، وقال تعالى في زرقة عيونهم: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه:102] ."

وقال أيضا: " والنواصي: جمع ناصية وهي الشعر الذي في مقدم الرأس، وتقدم في قوله تعالى: { ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها } في سورة هود (56) .

والأخذ بالناصية أخذ تمكّن لا يفلت منه، كما قال تعالى: { لنن لم ينته لنسفن بالناصية } [العلق: 15] .

والأقدام: جمع قَدَم، وهو ظاهر الساق من حيث تمسك اليد رجل الهارب فلا يستطيع انفلاتاً وفيه أيضاً يوضع القيد".

وقوله تعالى { فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } فَبَآئٍ نعم ربكما معشر الجن والإنس -التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجمام من أهل الطاعة منكم، حتى خصوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم.

قوله تعالى { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً (44) } قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: { هذه جهنم } أي: يقال لهم . هذه جهنم { التي يكذب بها المجرمون } يعني المشركين ، { يطوفون بينها } وقرأ أبو العالية ، وأبو عمران الجوني : «يطوفون» بياء مضمومة مع تشديد الواو؛ وقرأ الأعمش مثله إلا أنه بالتاء .

قوله تعالى : { وبين حميم أن } قال ابن قتيبة : الحميم : الماء الحار ، والآني : الذي قد انتهت شدة حره . قال المفسرون : المعنى أنهم يسعون بين عذاب الجحيم وبين الحميم ، إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الشديد الحرارة ."

وقال ابن كثير : " أي: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تفریحاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً.

وقوله: { يطوفون بينها وبين حميم أن } أي: تارة يعدبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالحامض المذاب، يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالى: { إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون. في الحميم ثم في النار يسجرون } [غافر: 71، 72] .

وقوله: { أن } أي: حار وقد بلغ الغاية في الحرارة، لا يستطيع من شدة ذلك. قال ابن عباس في قوله: { يطوفون بينها وبين حميم أن } قد انتهى عليه، واشتد حره. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبیر، والضحاك، والحسن، والثوري، والسدي.

وقال قتادة: قد أنى طبعه منذ خلق الله السموات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرق بناصيته في ذلك الحميم، حتى يدوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس. وهي كالتي يقول الله تعالى: { في الحميم ثم في النار يسجرون } . والحميم الآن: يعني الحار. وعن القرظي رواية أخرى: { حميم أن } أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضاً، والحاضر، لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحار، كقوله تعالى: { تسقى من عين آنية } [الغاشية: 5] أي حارة شديدة الحر لا تستطيع. وكقوله: { غير ناظرين إناؤه } [الأحزاب: 53] يعني: استواءه ونضجه. فقوله: { حميم أن } أي: حميم حار جداً . فالمعنى انه حاضر ومتناه في شدة حرارته فالآية اذا احتملت اكثر من معنى ولا تعارض بينها فيحمل معنى الآية على كلا المعنيين.

قال الطاهر بن عاشور: " والطواف : ترداد المشي والإكثار منه ، يقال : طاف به ، وطاف عليه ، ومنه الطواف بالكعبة ، والطواف بالصفة والمروة ، قال تعالى : { فلا جناح عليه أن يطوف بهما } وتقدم في سورة البقرة (158) .

والحميم : الماء المغلى الشديد الحرارة .

والمعنى : يمشون بين مكان النار وبين الحميم فإذا أصابهم حرّ النار طلبوا التبرّد فلاح لهم الماء فذهبوا إليه فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار دواييك وهذا كقوله : { وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل } [الكهف : 29] .

وأن : اسم فاعل من أنى ، إذا اشتدت حرارته ."

وقوله: (فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول: فَبَآئٍ نعم ربكما معشر الجن والإنس التي أنعمها عليكم - بعقوبته أهل الكفر به، وتكريمه أهل الإيمان به - تكذبان. قاله ابن جرير

وقال ابن كثير: " وَلَمَّا كَانَ مُعَاقِبَةُ الْعُصَاةِ الْمُجْرِمِينَ وَتَنْعِيمُ الْمُتَّقِينَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَأُطْفِئَ بِخُلُقِهِ، وَكَانَ إِذْأَرُهُ لَهُمْ عَذَابَهُ وَيَأْسَهُ مِمَّا يَرْجُرُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ مُمْتَنِّئًا بِذَلِكَ عَلَى بَرِيَّتِهِ: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ".

قال الله تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) }
قوله تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ }
قال ابن الجوزي: " فيه قولان .

أحدهما: قيامه بين يدي ربه عز وجل يوم الجزاء (وهو اختار ابن القيم).
والثاني: قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسب (وذلك من معاني اسم الله القيوم أي فراقب نفسه وحاسبها كقوله تعالى { ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد }). وجاء في التفسير، أن العبد يهمل بمعصية فيتركها خوفاً من الله عز وجل فله جنتان، وهما بستانان ".
(ويمكن حمل الآية على المعنيين كما هو اختيار الشنقيطي).

قال ابن كثير: " الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، يَقُولُ تَعَالَى: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النَّازِعَاتِ:40] ، وَلَمْ يَطَّغُ، وَلَا أَثَرَ الدُّنْيَا، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، فَأَدَّى فَرَائِضَ اللَّهِ، وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ، فَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِ جَنَّاتَانِ، كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ.
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّي، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِي، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "جَنَّاتَانِ مِنْ فَضَّةٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِداءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ" ".

ولما كان الناس يتفاوتون في خوفهم مقام ربهم فالجنان أيضاً تختلف تبعاً لذلك .
وقال ابن كثير أيضاً: " وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَهِيَ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْجَنَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِذَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا (1)؛ وَلِهَذَا آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الْجَزَاءِ فَقَالَ: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ".

1 - الجن يوم القيامة معذبون ومنعمون يدخلون الجنة ويدخلون النار، فمؤمنهم يدخل الجنة وكافرهم يدخل النار؛ بدليل قول الله سبحانه وتعالى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} [الأعراف:38] ، وهذا نص صريح بأنهم مكلفون؛ لأنهم معذبون، وقال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف:179] ، وقال: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود:119] .
وكفار الجن يدخلون جهنم بإجماع علماء السنة، ولم يخالف أحد في ذلك، وخالف بعض العلماء بالنسبة لدخولهم الجنة، ولا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن:46 - 47] والخطاب للجن والإنس.

يقول ابن مفلح وهو من علماء الحنابلة: الجن مكلفون في الجملة إجماعاً -بدون خلاف-، ويدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لـ مالك والشافعي، فالحنابلة والشافعي والإمام مالك يقولون: مؤمنو الجن يدخلون الجنة، وبعض العلماء يقولون: إن المؤمن من الجن يصير تراباً كالبهيمة بعد الحساب، وثواب مؤمنهم هو النجاة من النار، وهذا قول أبي حنيفة والليث بن سعد وغيرهما.

قال: والظاهر أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم خلافاً لمن قال: لا يأكلون ولا يشربون، لأن بعضهم قال: يدخلون الجنة لكن لا يأكلون ولا يشربون، وهذا قول مجاهد، وبعضهم قال: إنهم في ربض الجنة أي حول الجنة، وهذا قول

وقال ابو حيان : " مقام رَبِّهِ مَصَدَّرٌ، فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ، أَي قِيَامَ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: مِنْ قَوْلِهِ: أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، أَي حَافِظٌ مُهَيِّمٌ، فَالْعَبْدُ يَرِاقِبُ ذَلِكَ، فَلَا يَجْسُرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ. وَقِيلَ: الْإِضَافَةُ تَكُونُ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَخَافُ مَقَامَهُ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ، { مِنْ قَوْلِهِ: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وَفِي هَذِهِ الْإِضَافَةِ تَنْبِيهُ عَلَى صُعُوبَةِ الْمَوْقِفِ. وَقِيلَ: مَقَامٌ مُفَحَّمٌ، وَالْمَعْنَى: وَلِمَنْ خَافَ رَبَّهُ، كَمَا تَقُولُ: أَخَافُ جَانِبَ فُلَانٍ يَعْنِي فُلَانًا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ لِكُلِّ فَرْدٍ فَرْدًا مِنَ الْخَائِفِينَ جَنَّاتٍ، قِيلَ: إِحْدَاهُمَا مَنْزِلُهُ، وَالْأُخْرَى لِأَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: جَنَّةٌ عَدْنٌ، وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. وَقِيلَ: مَنْزِلَانِ يَنْتَقِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ لِتَتَوَفَّرَ دَوَاعِي لَذَّتِهِ وَتَظْهَرَ ثَمَارُ كِرَامَتِهِ. وَقِيلَ: هُمَا لِلْخَائِفِينَ وَالْخَطَابِ لِلثَّقَلَيْنِ، فَجَنَّةٌ لِلْخَائِفِ الْجَنِيِّ، وَجَنَّةٌ لِلْخَائِفِ الْإِنْسِيِّ. وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: جَنَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ لِلْسَّابِقِينَ، وَجَنَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ لِلتَّابِعِينَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: جَنَّةٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَجَنَّةٌ لِتَرْكِ الْمَعَاصِي، لِأَنَّ التَّكْلِيفَ دَائِرٌ عَلَيْهِمَا. وَأَنْ يُقَالَ: جَنَّةٌ يُبَاتُ بِهَا، وَأُخْرَى تَضُمُ إِلَيْهَا عَلَى وَجْهِ التَّفْضِيلِ لِقَوْلِهِ وَزِيَادَةُ " .

وقال العدوي : " معاني خوف مقام الله سبحانه وتعالى

وللعلماء في هذه الآية أقوال: أحدها: أن من اعتقد أن الله يراه ويراقبه سبحانه وتعالى في السر والعلن، فله جنتان، فهذا للمسلمين الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، فهؤلاء خافوا مقام ربهم في السر والعلن، وقويت مراقبتهم لله سبحانه، ففي كل وقت وفي كل حين يشعرون بقوله تعالى: { الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ } [الشعراء:218-219]، ويشعرون بقوله تعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } [يونس:61] ويوقنون كذلك بقوله تعالى: { الْآحِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَخْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [هود:5].

فهذا فريق من العباد قويت عنده مراقبة ربه سبحانه وتعالى، فأيقن أن الله معه في كل وقت وحين، فانزجر عن المعاصي وانكف عن الآثام، ويدخل فيهم الصديق يوسف صلى الله عليه وسلم لما رأى برهان ربه وخشيه بالغيب، ويدخل فيهم ذلك الرجل الذي دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني

عمر بن عبد العزيز، والصحيح أن الجن والإنس منهم المعذبون ومنهم المنعمون، فالمعذبون يدخلون جهنم، والمنعمون يدخلون الجنة.

لكن هل التكليف الموكلة إلى الجن ونفس التكليف الموكلة للإنس؟ لا، كلهم مكلف، لكن ليس بنفس الأشياء، وليس بنفس الصفات؛ لأن لهم خلقة تختلف عن خلقتنا، فتكاليدهم بحسب خلقتهم.

يقول ابن تيمية: الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا بمائتين للإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، لكنهم يشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم.

إذاً: الجن يشاركون الإنس في التكليف، لكن ليس بنفس التكليف وبنفس الصفة التي كلفنا بها، وبعض الزنادقة الذين لا يخافون الله يوردون شبهة فيقولون: كيف يعذب الجن في النار وهم من النار؟ يلبسون بهذا على بعض الناس الذين لا علم عندهم.

و الجواب أن الجن خلقوا من النار ولكنهم فيما بعد أصبحوا خلقاً آخر ليس هو النار، وإنما مخالف للنار تماماً، كالبشر فهم مخلوقون من طين ثم فيما بعد أصبحوا بشراً، فالإنسان ليس هو الطين، فأصله من الطين لكنه مغاير الآن للطين بحيث لو أخذنا لبنة من الطين وضربنا بها رأس إنسان فإنها قد تقتله، ولو حفرنا حفرة لإنسان ودفناه في التراب فإنه يموت، ولا يقول أحد: إن التراب لا يضره؛ لأنه مخلوق من تراب، كذلك الجن أصلهم من النار ولكن النار تؤذيهم كما أن البشر يؤذيهم التراب. (دروس عمر سليمان الأشقر).

أخاف الله، ويدخل فيهم ذلك الرجل الذي قعد بين رجلي ابنة عمه، فلما قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، قام وتركها..

وأيضاً من خوف مقام الرب معنى آخر وهو: تذكر لقائه يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وسيلكمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر من أمامه فلا يرى إلا النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمره فليفعل، ومن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بكلمة طيبة فليفعل)، فهذا أيضاً داخل في الخوف من مقام الرب سبحانه، ومن لقاء الرب سبحانه وتعالى ". وقال الشيخ عبدالكريم الخضير: " ، لمن خاف مقام ربه أي: قيامه بين يديه للحساب، إذا خاف هذا المقام ثم ماذا بعد هذا الخوف؟ العمل بما أوجبه الله -جل وعلا-، والترك لما حرمه عليه، يعني المقصود بالخوف والرجاء الممدوحين في النصوص جاءت النصوص بمدحهما.

.. أهل العلم يتكلمون بكلام طويل في المراد بالجننتين في كلام لا دليل عليه، منهم من يقول: إن الجنة له خاصة به، وجنة لأزواجه وخدمه كما يفعله أهل الدنيا، ومنهم من يقول: هما جنتان يرتاح في إحداها ثم ينقلب إلى الأخرى؛ لأن ملازمة المكان الواحد نعم ممل، وهذا في أمور الدنيا في أمر الدنيا ظاهر، تجد الإنسان في قصر فخم واسع جميل ثم بعد ذلك يضع له استراحة، إذا مل من هذا القصر ذهب إلى الاستراحة، وإذا مل من الاستراحة رجع إلى القصر، هذا في الدنيا واضح، لكن هل هناك ملل أو سأم في الآخرة في الجنة؟ لا، لكن التنوع في الجنة موجود، جنة فيها أنواع، وهي أيضاً نوع يختلف عن نوع الجنة الثانية، ولا شك أن هذا من زيادة الإكرام لمن خاف مقام ربه ".

وقال العدوي: " قال بعض العلماء: إن هاتين الجننتين من ذهب، أما الجنتان اللتان دونهما المذكورتان في قوله تعالى: { وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } [الرحمن:62] فهما من فضة؛ لحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: (جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما).

ومن العلماء من قال: إن الجننتين جنة له لمقامه كمؤمن، وجنة ورثها من الكافر أو اليهودي أو النصراني كما قال تعالى: { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف:72] وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد أعد له مقعده من الجنة ومقعده من النار)، فإذا دخل المسلم الجنة ورث مقام النصراني أو اليهودي فيها، وورث النصراني أو اليهودي أو الكافر مقامه من النار فيكون للمؤمن إذا جنتان، جنته الحقيقية المعدة له، وجنته أيضاً التي ورثها من أو اليهود أو النصراني ".

وقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما أيها الثقلان -التي أنعم عليكم بإثابته المحسن منكم ما وصف جل ثناؤه في هذه الآيات - تكذبان.

وقال ابن الجوزي: " { ذواتا أفنان } فيه قولان .

أحدهما : أنها الأغصان ، وهي جمع فَنَن ، وهو الغُصن المستقيم طولاً ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، وعطية ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : أنها الألوان والضروب من كل شيء ، وهي جمع فَنَن ، وهذا قول سعيد بن جبير . وقال الضحاك : ذواتا ألوان من الفاكهة .

وجمع عطاء بين القولين ، فقال في كل غصن فُنون من الفاكهة "

وقال ابن كثير: " ثُمَّ نَعَتْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَقَالَ: { ذَوَاتَا أَفْنَانٍ } أَي: أَغْصَانِ نَضْرَةِ حَسَنَةٍ (وهذا القول الاول)، تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَضِيجَةً فَانْقَهَتْ، {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} . هَكَذَا قَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَجَمَاعَةٌ: إِنَّ الْأَفْنَانَ أَغْصَانُ الشَّجَرِ يَمَسُّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ قَتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانَ، سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} ، يَقُولُ: ظِلُّ الْأَعْصَانِ عَلَى الْحَيْطَانِ (وهذا قول ثاني)، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ حَيْثُ يَقُولُ:

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيلِ حَمَامَةٍ ... تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامًا ...

تَدْعُو أَبَا فَرْحِينَ صَادَفَ طَاوِيًا ... ذَا مَخْلِبِينَ مِنَ الصَّقُورِ قَطَامًا

وَحَكَى الْبَغَوِيُّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرَمَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَالْكَلْبِيِّ: أَنَّهُ الْغُصْنُ الْمُسْتَقِيمُ [طَوَالًا].

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ

جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} : ذَوَاتَا أَلْوَانٍ. (وهذا قول ثالث)

قَالَ: وَ [قَدْ] رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَالسُّدِّيِّ، وَخُصَيْفٍ، وَالنُّضْرِ بْنِ عَرَبِيِّ، وَأَبِي سِنَانَ

مِثْلَ ذَلِكَ. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ فِيهِمَا فُنُونًا مِنَ الْمَلَادِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ عَطَاءٌ: كُلُّ غُصْنٍ يَجْمَعُ فُنُونًا مِنَ الْفَاكِهَةِ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} : وَاسِعَتَا

الْفَنَاءِ. (وهذا قول رابع)

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} يُنْبِئُ بِسَعِيَّتِهَا

وَفَضْلِهَا وَمَزِيَّتِهَا عَلَى مَا سِوَاهَا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى- فَقَالَ: "يَسِيرُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا الرَّكْبُ مِائَةَ

سَنَةٍ- أَوْ قَالَ: يَسْتَنْظِلُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ رَاكِبٍ فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ."

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، بِهِ "

وَقَالَ أَبُو حَيَانَ: " وَخَصَّ الْأَفْنَانَ بِالذِّكْرِ جَمْعَ فَنَنِ، وَهِيَ الْغُصُونُ الَّتِي تَتَشَعَّبُ عَنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ،

لِأَنَّهَا الَّتِي تُورِقُ وَتُثْمَرُ، وَمِنْهَا تَمْتَدُّ الظُّلَالُ، وَمِنْهَا تُجْنَى الثِّمَارُ. وَقِيلَ:

الْأَفْنَانُ جَمْعُ فَنٍ، وَهِيَ الْوَانُ النِّعْمِ وَأَنْوَاعُهَا، وَهِيَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْأَوَّلُ قَالَ قَرِيبًا مِنْهُ مُجَاهِدٌ

وَعِكْرَمَةُ، وَهُوَ أَوْلَى، لِأَنَّ أَفْعَالَ فِي فِعْلِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي فِعْلِ يَسْكُونُ الْعَيْنَ، وَفَنٌّ يَجْمَعُ عَلَى فُنُونٍ "

وقوله: (فَبَائِي آءِ رَبِّكَمَا تُكْذِبَانِ) يقول تعالى ذكره: فَبَائِي نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم

بإثابته هذا الثواب أهل طاعته - تكذبان.

قوله تعالى: { فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبَائِي آءِ رَبِّكَمَا تُكْذِبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رُوحَانِ

(52) فَبَائِي آءِ رَبِّكَمَا تُكْذِبَانِ (53) } قال ابن عباس: تَجْرِيَانِ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ، إِحْدَاهُمَا: السَّلْسَبِيلُ،

وَالْأُخْرَى: التَّسْنِيمُ. وَقَالَ عَطِيَّةٌ: إِحْدَاهُمَا: مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَالْأُخْرَى: مِنْ خَمْرٍ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ

الْوَرَّاقُ: فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ مِنَ الْبُكَاءِ (زاد المسير).

وَقَالَ أَبُو حَيَانَ: " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا عَيْنَانِ مِثْلُ الدُّنْيَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.

وَقَالَ: تَجْرِيَانِ بِالزِّيَادَةِ وَالْكَرَامَةِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: تَجْرِيَانِ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ، إِحْدَاهُمَا

التَّسْنِيمُ، وَالْأُخْرَى السَّلْسَبِيلُ (وهذا يحتاج لدليل). وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: إِحْدَاهُمَا مِنْ مَاءٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ

خَمْرٍ (وهذه انهار في الجنة وليست عيون). وَقِيلَ: تَجْرِيَانِ فِي الْأَعَالِي وَالْأَسْفَلِ مِنْ جَبَلٍ مِنْ مَسْنِكٍ.

رُوحَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ شَجَرَةٍ حُلُوةٍ وَلَا مَرَّةٍ إِلَّا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ، حَتَّى شَجَرُ الْحَنْظَلِ،

إِلَّا أَنَّهُ حَلُوٌّ. أَنْتَهَى. وَمَعْنَى رُوحَانِ: رَطْبٌ وَيَاسِسٌ، لَا يَقْضِرُ هَذَا عَنْ ذَاكَ فِي الطَّيْبِ وَاللَّذَّةِ."

وقال ابن كثير: " {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} أَي: تَسْرَحَانِ لِسَقْيِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَالْأَعْصَانِ فَتُثْمَرُ مِنْ

جَمِيعِ الْأَلْوَانِ، {فَبَائِي آءِ رَبِّكَمَا تُكْذِبَانِ} قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِحْدَاهُمَا يُقَالُ لَهَا: "تَسْنِيمٌ"، وَالْأُخْرَى

"السَّلْسَبِيلُ"

وَقَالَ عَطِيَّةٌ: إِحْدَاهُمَا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ."

وقال ابن عثيمين : " والعينان اللتان تجريان، يظهر - والله أعلم - أنهما سوى هذه الأنهار الأربعة".
 وقال الرازي : " أي في كل واحدة منهما عين جارية كما قال تعالى فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ".
 قال البقاعي : " ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: {فيهما عينان} أي في كل واحدة عين
 {تجريان}* أي في كل مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل
 غصن منها، وإن زاد علوها".

قوله تعالى : { فيهما من كل فاكهة زوجان } أي : صنفان ونوعان . قال المفسرون : فيهما من كل ما
 يُتفكّه به نوعان ، رطب ويابس ، لا يقصر أحدهما عن الآخر في فضله .
 قال البقاعي : " {من كل فاكهة} أي تعلمونها أو لا تعلمونها {زوجان} ".
 وقال ابن كثير : " أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا
 أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، {فبأي آلاء ربكم تكذبان} .
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا فِي الدُّنْيَا ثَمَرَةٌ حُلْوَةٌ وَلَا مَرَّةٌ
 إِلَّا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى الْحَنْظَلَةُ (لكن الله تعالى لم يقل فيهما من كل ثمرة زوجان وليس الحنظل من
 الفاكهة).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ، يَعْنِي: أَنَّ بَيْنَ ذَلِكَ بَوْنًا عَظِيمًا، وَفَرْقًا بَيْنًا
 فِي التَّفَاضُلِ "

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير : " نوعان: رطب ويابس " (وهذا يحتاج لدليل فيبقى على ظاهره
 ونكل علمه الى الله تعالى) إن كان التنوع بالرطوبة واليبوسة ففيه من الرطب وفيه من اليابس؛ لأن
 الإنسان قد يشتهي أحياناً رطب، وأحياناً قد يشتهي اليابس حتى في الدنيا، يعني لو نظرنا على سبيل
 المثال مثلاً التمر، العنب، التين، من أمور الدنيا تجد بعض الناس أو الإنسان نفسه في وقت يفضل
 الرطب، ويتيسر له هذا الرطب، لا سيما بعد وجود هذه الوسائل التي تحفظ هذه الأشياء السنة
 والسنتين وأكثر، وأحياناً يفضل اليابس، وهذا كله موجود في الآخرة، أحياناً يكون التين رطب،
 وأحياناً يكون يابس أفضل عند بعض الناس، وقد يكون عند الإنسان نفسه أحياناً يفضل هذا الرطب،
 وأحياناً يفضل اليابس، التمر أحياناً يفضل رطب، وأحياناً يفضل يابس، العنب أحياناً يفضل رطب،
 وأحياناً يفضل زبيب مثلاً وهكذا".

قوله تعالى { مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 (55)

قال البقاعي : " { مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ } ، جمع فراش، { بَطَانِنُهَا } ، جمع بطانة، وهي التي تحت
 الظهارة. وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض. { مِنْ إِسْتَبْرَقٍ } وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن
 مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر ؟ وقيل لسعيد بن جبیر: البطائن من إستبرق،
 فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عز وجل: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة -
 17] وعنه أيضاً قال: بطائنهما من إستبرق فظواهرها من نور جامد . وقال ابن عباس: وصف
 البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر".

وقال الطبري : " وقوله: { وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ } يقول: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا
 يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لاجتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء".

وقال ابو حيان : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَجْتَنِيهِ قَانِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا، لَا يَرُدُّ يَدَهُ بَعْدَ وَلَا شَوْكًا وَقَرَأَ
 عَيْسَى: بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِ النُّونِ، كَأَنَّهُ أَمَالَ النُّونَ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْفُ قَدْ حُدِفَتْ فِي اللَّفْظِ، كَمَا أَمَالَ أَبُو

عَمَرُو حَتَّى نَرَى اللَّهَ «1». وقرىء: وَجَنَى بَكْسِرِ الْجَبِيمِ وَالضَّمِيرُ فِي فِيهِنَّ عَائِدٌ عَلَى الْجَنَانِ الدَّالِّ عَلَيْهِنَّ جَنَّاتٍ، إِذْ كُلُّ فَرْدٍ فَرِدٌ لَهُ جَنَّاتَانِ، فَصَحَّ أَنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْجَنَّتَانِ أُرِيدَ بِهِمَا حَقِيقَةُ التَّنْبِيَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ جَنَسٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَنَّةً وَاحِدَةً، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ. وَقِيلَ:

يَعُودُ عَلَى الْفُرُشِ، أَي فِيهِنَّ مَعْدَاتٌ لِلِاسْتِمَاعِ، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ قَرِيبٌ الْمَأْخِذِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فِيهِنَّ فِي هَذِهِ الْأَلَاءِ الْمَعْدُودَةِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْجَنَى. انْتَهَى، وَفِيهِ بَعْدٌ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: كُلُّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ جَنَّةٌ، فَلِذَلِكَ قَالَ: فِيهِنَّ " .

وقال ابن كثير: " يَقُولُ تَعَالَى: {مُتَكَبِّرِينَ} بِعَنِي: أَهْلُ الْجَنَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالِاتِّكَاءِ هَاهُنَا: الْإِضْطِجَاعُ. وَيُقَالُ: الْجُلُوسُ عَلَى صِفَةِ التَّرْبَعِ. {عَلَى فُرْشٍ بَطَانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} وَهُوَ: مَا غَطَّتْ مِنَ الدِّيْبَاجِ. قَالَهُ عِكْرَمَةُ، وَالضَّحَاكُ وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: هُوَ الدِّيْبَاجُ الْمَغْرَبِيُّ بِالذَّهَبِ. فَنَبَّهَ عَلَى شَرَفِ الظُّهَارَةِ بِشَرَفِ الْبِطَانَةِ. وَهَذَا مِنَ التَّنْبِيهِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: هَذِهِ الْبِطَانُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمْ الظُّوَاهِرَ؟

..وَقَالَ ابْنُ شَدُوبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ: ذَكَرَ اللَّهُ الْبِطَانِينَ وَلَمْ يَذْكُرِ الظُّوَاهِرَ، وَعَلَى الظُّوَاهِرِ الْمَحَابِسُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الْمَحَابِسِ إِلَّا اللَّهُ. ذَكَرَ ذَلِكَ كُلُّهُ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانَ} أَي: ثَمَرُهَا قَرِيبٌ إِلَيْهِنَّ، مَتَى شَاءُوا تَنَاوَلُوهُ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ كَانُوا، كَمَا قَالَ: {فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الْحَاقَّةُ: 23]، وَقَالَ: {وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّتْ فُطُوفُهَا تَدْلِيلًا} [الْإِنْسَانِ: 14] أَي: لَا تُنْمَعُ مِمَّنْ تَنَاوَلَهَا، بَلْ تَنَحُّطُ إِلَيْهِ مِنْ أَغْصَانِهَا، {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ} " .

وقال الطاهر بن عاشور: " والاتكاء: جلسة أهل الترف المخدمين لأنها جلسة راحة وعدم احتياج إلى النهوض للتناول " .

وقال الرازي: " قوله تعالى وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَخَالَفَتِهَا لِحُجَّةِ دَارِ الدُّنْيَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ أَحَدُهَا أَنَّ الثَّمَرَةَ فِي الدُّنْيَا عَلَى رِعْوِ الشَّجَرَةِ وَالْإِنْسَانِ عِنْدَ الْإِتِّكَاءِ يَبْعَدُ عَنْ رِعْوِ سَهْلِهَا وَفِي الْآخِرَةِ هُوَ مَتَكِيٌّ وَالثَّمَرَةُ تَنْزِلُ إِلَيْهِ .

ثَانِيهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ قَرَبِ ثَمَرَةِ شَجَرَةٍ بَعْدَ عَنِ الْآخِرَةِ وَفِي الْآخِرَةِ كُلُّهَا دَانَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَمَكَانٍ وَاحِدٍ وَفِي الْآخِرَةِ الْمَسْتَقَرُّ فِي جَنَّةٍ عِنْدَهُ جَنَّةٌ أُخْرَى.

ثَالِثُهَا أَنَّ الْعَجَائِبَ كُلُّهَا مِنْ خَوَاصِّ الْجَنَّةِ فَكَانَ أَشْجَارُهَا دَائِرَةً عَلَيْهِمْ سَاتِرَةً إِلَيْهِمْ وَهُمْ سَاكِنُونَ عَلَى خِلَافِ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا وَجَنَاتِهَا وَفِي الدُّنْيَا الْإِنْسَانُ مَتَحْرِكٌ وَمَطْلُوبُهُ سَاكِنٌ وَفِيهِ الْحَقِيقَةُ وَهِيَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكْسَلْ وَلَمْ يَتَقَاعَدْ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعَى فِي الدُّنْيَا فِي الْخَيْرَاتِ انْتَهَى أَمْرُهُ إِلَى سَكُونٍ لَا يَحُوجُهُ شَيْءٌ إِلَى حَرَكَةٍ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ إِنْ تَحَرَّكُوا تَحَرَّكُوا لَا لِحَاجَةٍ وَطَلَبٍ وَإِنْ سَكَنُوا سَكَنُوا لَا

لِاسْتِرَاحَةٍ بَعْدَ التَّعَبِ ثُمَّ إِنْ الْوَلِيُّ قَدْ تَصَوَّرَ لَهُ الدُّنْيَا أُنْمُودَجًا مِنَ الْجَنَّةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ سَاكِنًا فِي بَيْتِهِ وَيَأْتِيهِ الرِّزْقُ مَتَحْرِكًا إِلَيْهِ دَائِرًا حَوْلِيهِ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [آلِ عِمْرَانَ: 37] " .

وقوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ} يقول تعالى ذكره: فبأي آلاء ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم - من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب، وأكرمهم هذه الكرامة - تكذبان.

قوله تعالى {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ (57) كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) {

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره في هذه الفرش التي بطاننها من إستبرق (قاصرات الطرف)، وهن النساء اللاتي قد قصر طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال. (ثم روى عن) عن مجاهد في قوله: (فيهن قاصرات الطرف) قال: قصر طرفهن عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن.

(و) عن قتادة (فيهن قاصرات الطرف) ... الآية، يقول: قصر طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

(و) قال ابن زيد، في قوله: (قاصرات الطرف) قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، تقول: وعزة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجك". قال ابن كثير: " { قاصرات الطرف } أي غصبيات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئا أحسن في الجنة من أزواجهن. قاله ابن عباس، وقاتدة، وعطاء الخراساني، وابن زيد. وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك".

قال ابن القيم: " ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور حور العين. وأما نساء الدنيا فقد طمتهن الإنس، ونساء الجن قد طمتهن الجن، والآية تدل على ذلك. ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقت في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفاكهة والثمار والأنهار والملابس وغيرها، ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: (حور مقصورات في الخيام)، ثم قال: (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان)".

وقال ابن عثيمين: " { قاصرات الطرف } يعني أنها تقصر طرفها أي نظرها على زوجها فلا تريد غيره، والوجه الآخر: قاصرات الطرف، أي: أنها تقصر طرف زوجها عليها فلا يريد غيرها، وعلى القول الأول يكون قاصرات مضافة إلى الفاعل، وعلى الثاني مضاف إلى المفعول ". والمعنى الأول هو المتبادر وهو الذي تمدح به المرأة لأنه دليل عفتها بخلاف نساء الدنيا فقد يعجبها هيئة هذا ومنطق هذا وشجاعة هذا وغير ذلك . والمعنى الثاني فيه شدة حسنها أيضا ولذلك لم يتطلع زوجها لغيرها .

وقال الطبري: " وقوله: (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان) يقول: لم يمسهن إنس قبل هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال فيهم (ولمن خاف مقام ربه جنتان). ولا جان يقال منه: ما طمته هذا البعير حبلاً قط: أي ما

حائض، فقال أبو العالية: حائض، أليس يقول الله عز وجل (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان). فإن قال قائل: وهل يجمع النساء الجن، فيقال: (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان) ؟ فإن مجاهداً روي عنه ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: إذا جامع الرجل ولم يسم، انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان).

وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية في أن الجن يدخلون الجنة.
* ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي، قال: ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي قال: ثنا أرطاة بن المنذر، قال: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجن من ثواب؟ قال: نعم، ثم نزع بهذه الآية (لم يطمتهن إنس قبلهم ولا جان)، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن ".

وقال ابو حيان : " لَمْ يَطْمِئِنَّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَفْتَضَّهِنَّ قَبْلَ اَرْوَاجِهِنَّ. وَقِيلَ: لَمْ يَطَّاهُنَّ عَلَى اَيِّ وَجْهِ. كَانَ الْوَطْءُ مِنْ اِفْتِضَاضٍ اَوْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرَمَةَ. وَالضَّمِيرُ فِي قَبْلَهُمْ عَائِدٌ عَلَى مَنْ عَادَ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ فِي مُتَكَبِّرِينَ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: بِكَسْرِ مِيمٍ يَطْمِئِنَّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَطَلْحَةَ وَعَيْسَى وَأَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلِيٍّ: بِالضَّمِّ.

وَقَرَأَ نَاسٌ: بِضَمِّ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ الثَّانِي، وَنَاسٌ بِالْعَكْسِ، وَنَاسٌ بِالتَّخْيِيرِ، وَالْجَحْدَرِيُّ: بِفَتْحِ الْمِيمِ فِيهِمَا، وَنَفِيٌّ وَطَنِيٌّ عَنِ الْإِنْسِ ظَاهِرٌ وَأَمَّا عَنِ الْجَنِّ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: قَدْ تَجَامَعُ نِسَاءُ الْبَشَرِ مَعَ اَرْوَاجِهِنَّ، إِذْ لَمْ يَذْكَرِ الزَّوْجَ اللَّهِ تَعَالَى، فَنفَى هُنَا جَمِيعَ الْمُجَامِعِينَ. وَقَالَ ضَمْرَةَ بِنُ حَبِيبٍ: الْجَنُّ فِي الْجَنَّةِ لَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ مِنَ الْجِنِّ نُوْعُهُمْ، فَنفَى الْاِفْتِضَاضَ عَنِ الْبَشَرِيَّاتِ وَالْجَنِّيَّاتِ "

وقال الطاهر بن عاشور : " والطمث بفتح الطاء وسكون الميم ميسس الأنثى البكر ، أي من أبار . وعبر عن البكارة ب { لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان } إظنا ب في التحسين ، وقد جاء في الآية الأخرى { فجعلناهن أباراً } [الواقعة : 36] . وهؤلاء هن نساء الجنة لا أزواج المؤمنين اللاتي كن لهم في الدنيا لأنهن قد يكن طمئنهم أزواج فإن الزوجة في الجنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا " . وقال ابن منظور : " ومعنى لم يطمئنهم : لم يمسهن . وقال الفراء : الطمث الافتضاض ، وهو النكاح بالندمية . قال : والطمث هو الدم ، وهما لغتان . طمث يطمث ، ويطمئ . والقراء أكثرهم على : لم يطمئنهم ، بكسر الميم . أبو الهيثم :

يقال طمئت طمئت أي أدميت بالافتضاض " .

كما في قوله تعالى { ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون } قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم وقال ابو الاحوص شغلوا بافتضاض الابكار عن السرر في الحجال وقال سليمان التيمي عن ابي مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ما شغلهم قال افتضاض الابكار . (حادي الارواح لابن القيم) .

وقال ابن عثيمين : " { لم يطمئنهم إنس قبلهم ولا جان } أي : لم يجامعهم ، وقيل : إن الطمئ مجامعة البكر ، والمعنى أنهم أبار لم يجامعهم أحد من قبل لا إنس ولا جان ، وفي هذا دليل واضح على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة " .

وقال العدوي : " لقد أثيرت هنا مسألة وفي الحقيقة لا معنى لإثارتها ، لكنها قد ذكرت ونذكرها عرضاً على وجه السرعة ، ألا وهي مسألة : هل الجنى يفتض إنسية؟ وهل يمكن أو يتصور أن جنياً يفتض إنسية ويفض بكارتها ويعتدي عليها أو أن هذا لا يتصور؟! في الحقيقة أن مثل هذه المسائل التي يفترض أن تكون موجودة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ الجن كانوا موجودين على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والنساء والفتيات كن موجودات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقل في أية حالة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع شيئاً من هذا ولا أفتى فيه صلوات الله وسلامه عليه .

يعني: لم يرد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أبداً أن امرأة افتضها جنى ، وما ورد ذلك بحال من الأحوال ، ولا سقط الحد أبداً عن امرأة اتهمت بأنها زنت وقالت: إن حملي من جنى ، أو إن افتضاضي من جنى ، ولا تسقط الحدود بمثل هذه الأقوال .

فغاية ما ورد في هذا الباب بما قد يستأنس به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المستحاضة التي تحيض ولا تطهر ويستمر دمها ويستمر نزيها ، قال : (ذاك ركضة من ركضات الشيطان) لكن إسناد هذا الخبر من طريق راوٍ يقال له: عبد الله بن محمد بن عقيل ، والراجح عند أكثر العلماء أنه ضعيف الحديث .

فعلى ذلك لا يثبت في افتضاض الجنى للإنسية في الدنيا أي شيء، ومن ثم مسألة زواج الإنسي بالجنية أو الجنى بالإنسية فكل هذا لم يثبت فيه خير أبداً .

وقال الشيخ عبدالكريم الخضير: " والآية فيها دليل على أن الإنسي قد يقع على الجنية والعكس، ويذكر بعض القصص أن فلان من الناس تزوج جنية، ويذكر أيضاً في الأسئلة الآن يكثر أن المرأة الممسوسة قد لا يمكنها الجنى من الصلاة حتى يقع عليها، هذا موجود في الأسئلة يعني، سنل عنه مراراً، فهذا يدل على الإمكان".

ووجود الحور العين في الجنة هو مما اختص به الرجال من اهل الجنة واما المرأة المؤمنة فليس من نعيمها ان يكون لها اكثر من رجل كما هو الحال في العفيفات من نساء الدنيا ونساء الجنة قاصرات طرفهن على ازواجهن .

قوله تعالى : { كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ (61) }

روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجته كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آبيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوثة قال أبو اليمان يعني العود ورشحهم المسك وقال مجاهد الإبكار أول الفجر والعشي ميل الشمس إلى أن أراه تغرب.

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوا كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب . رواه البخاري ومسلم.

وروى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها

قال الطبري: " كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هن في هاتين الجنيتين في صفائهن الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فذلك يرى مخ سوقهن من وراء أجسامهن، وفي حسنهن الياقوت والمرجان.

(ف) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: (كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) أما الياقوت فإنه لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه".

قال ابو حيان: " قال قتادة: كانهن على صفاء الياقوت وحمرة المرجان، لو أدخلت في الياقوت سلكا، ثم نظرت إليه، لرأيته من ورائه. انتهى. وفي الترمذي: أن المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة مخها.

وقال ابن عطية: الياقوت والمرجان من الأشياء التي يرتاح بحسنها، فشبّه بهما فيما يحسن التشبيه به، فالياقوت في إملاسه وشقوقه، والمرجان في إملاسه وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمّت العرب النساء بذلك، كدرة بنت أبي لهب، ومرجانة أم سعيد. انتهى ."

وقال ابن كثير: " قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ: فِي صَفَاءِ الْيَاقُوتِ وَبَيَاضِ الْمَرْجَانِ، فَجَعَلُوا الْمَرْجَانَ هَاهُنَا اللَّوْلُؤَ ". فشبهن باللؤلؤ من بياضها ومن جهة صفائها بالمرجان الصافي المشوب بحمرة وهو صغار اللؤلؤ.

وقال الرازي: " وهذا التشبيه فيه وجهان أحدهما تشبيهه بصفائهما وثانيهما بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت والمرجان صغار اللؤلؤ وهي أشد بياضاً وضياءً من الكبار بكثير فإن قلنا إن التشبيه لبيان صفائهن فنقول فيه لطيفة هي أن قوله تعالى قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ إشارة إلى خلوصهن عن القبائح وقوله كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ إشارة إلى صفائهن في الجنة فأول ما بدأ بالعقليات وختم بالحسيات كما قلنا إن التشبيه لبيان مشابهة جسمهن بالياقوت والمرجان في الحمرة والبياض فذلك القول فيه حيث قدم بيان العفة على بيان الحسن ولا يبعد أن يقال هو مؤكد لما مضى لأنهن لما كن قاصرات الطرف ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن لم يطمئنهن فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه والمرجان المصون في صدفه لا يكون قد مسه يد لأمس ".

قوله تعالى { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61) } قال ابن الجوزي: " قال الزجاج ، أي : ما جزاء مَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْهِ فِي الآخِرَةِ . وقال ابن عباس : هل جزاء من قال : «لا إله إلا الله» وَعَمِلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْجَنَّةَ . وروى أنس بن مالك قال : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، وقال : «هل تدرون ما قال ربكم»؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإن ربكم يقول : هل جزاء مَنْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بالتوحيد إِلَّا الْجَنَّةُ» ".

وقال ابن جرير: " يقول تعالى ذكره : هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجلّ لمن خافه، فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربّه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات ".

وقال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } أَي: مَا لِمَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا الْعَمَلَ إِلَّا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس: 26] ". وقال الطاهر بن عاشور: " أي لأنهم أحسنوا فجازاهم ربهم بالإحسان .

والإحسان الأول: الفعل الحسن ، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن ، وهو الخير ، فالأول من قولهم : أحسن في كذا ، والثاني من قولهم : أحسن إلى فلان .

والاستفهام مستعمل في النفي ، ولذلك عقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنها إحسان ، وهذا الحصر إخبار عن كونه الجزاء الحقّ ومقتضى الحكمة والعدل ، وإلا فقد يتخلف ذلك لدى الظالمين ، قال تعالى : { وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون } [الواقعة : 82] وقال : { فلما آتاها صالحاً جعل له شركاء فيما آتاها } [الأعراف : 190] .

وعلم منه أن جزاء الإساءة السوء قال تعالى : { جزاءً وفاقاً } [النبا : 26] .

وقال ابن عثيمين: " يعني ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، الإحسان الأول: العمل، والإحسان الثاني: الثواب، أي: ما جزاء إحسان العمل إلا إحسان الثواب ".

قال ابن كثير: " وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذُكِرَ نِعْمَ عَظِيمَةً لَا يُقَاوِمُهَا عَمَلٌ، بَلْ مُجْرَدُ تَفَضُّلٍ وَامْتِنَانٍ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ".

قوله تعالى { وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَمَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ

(68) فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَفْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِئُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78) }

روى البخاري ومسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيينتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيينتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن.

قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: { وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } قال الزجاج: المعنى: ولِمَنْ خاف مقام ربه جنتان، وله من دونهما جنتان. وفي قوله: «وَمِنْ دُونِهِمَا» قولان. أحدهما: دونهما في الدرج، قاله ابن عباس.

والثاني: دونهما في الفضل كما روى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " جنتان من ذهب وجنتان من فضة "؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومقاتل. وقال ابن كثير: " هاتان الجنتان دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْفُضَيْلَةِ وَالْمَنْزِلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ... فَأُولَئِكَ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَالْآخِرِيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

... وَالذَّلِيلُ عَلَى شَرَفِ الْأُولِيِّينَ عَلَى الْآخِرِيِّينَ وَجَوْه: أحدها: أنه نعت الأولين قَبْلَ هَاتَيْنِ، وَالتَّقْدِيمُ يَدُلُّ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: { وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } . وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي شَرَفِ التَّقْدِيمِ وَعُلُوِّهِ عَلَى الثَّانِي " . وقوله (فَبَائِي آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ) يقول: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم -بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين - تكذبان؟

وقال ابن الجوزي: " قوله تعالى: { مُدْهَمَّتَانِ } قال ابن عباس [وابن الزبير] : خضراوان من الرِّيِّ . وقال أبو عبيدة : من خضرتهما قد اسودتا . قال الزجاج : يعني أنهما خضراوان تضرب خضرتهما إلى السّواد ، وكل نبت أخضر فتمام خضرتة وريته أن يضرب إلى السّواد . وقال الطاهر بن عاشور : " وصف مشتق من الدُّهْمَة بضم الدال وهي لون السّواد . ووصف الجنتين بالسّواد مبالغة في شدة خضرة أشجارهما حتى تكونا بالتفاف أشجارها وقوة خضرتها كالسوداوين لأن الشجر إذا كان ريان اشتدت خضرة أوراقه حتى تقرب من السّواد " . ولذلك يقال سواد العراق لشدة خضرتة لكثرة النخيل فيه.

قال ابن كثير: " وَقَالَ هُنَاكَ: { دَوَاتَا أَفْنَانٍ } : وَهِيَ الْأَغْصَانُ أَوْ الْفُنُونُ فِي الْمَلَادِ، وَقَالَ هَاهُنَا: { مُدْهَمَّتَانِ } أَي سَوْدَاوَانٍ مِنْ شِدَّةِ الرِّيِّ " . وظهور الاغصان في الشجرة من جمالها .

قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: { نَضَاحَتَانِ } قال أبو عبيدة: فوّارتان. وقال ابن قتيبة: تفوران، و«النضح» أكثر من «النضح». وفيما يفوران به أربعة أقوال. أحدها: بالمسك والكافور، قاله ابن مسعود.

والثاني: بالماء، قاله ابن عباس. (قال ابن جرير: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غني بذلك أنهما تنضخان بالماء، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء " . والثالث: بالخير والبركة، قاله الحسن.

والرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبير " (وضعفه ابن عطية).

وقال ابن كثير: " وَقَالَ هُنَاكَ: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} ، وَقَالَ هَاهُنَا: {نَضَاحَتَانِ} ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ فَيَاضَتَانِ. وَالْجَزِيُّ أَقْوَى مِنَ النَّضْخِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: {نَضَاحَتَانِ} أَيُّ مُمْتَلِنَتَانِ لَا تَنْقَطِعَانِ ".

قال ابن كثير: " وَقَالَ هُنَاكَ: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} ، وَقَالَ هَاهُنَا: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأُولَى أَعَمُّ وَأَكْثَرُ فِي الْأَفْرَادِ وَالتَّنْوِيعِ عَلَى فَاكِهَةٍ، وَهِيَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعْمُ؛ وَلِهَذَا فُسِّرَ قَوْلُهُ: {وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَمَا قَرَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَإِنَّمَا أُفْرِدَ النَّخْلُ وَالرَّمَّانُ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا ". وكلمة كل دليل على العموم ولم يذر ذلك في الثانية.

قال الألوسي: ثم إن نخل الجنة ورماتها وراء ما نعرفه.

قال ابن جرير: " فَإِنْ قِيلَ لَنَا: فَكَيْفَ أُعِيدَا وَقَدْ مَضَى ذِكْرُهُمَا مَعَ ذِكْرِ سَائِرِ الْفَوَاكِهِ؟ قُلْنَا: ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} ، فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ أَعَادَ الْعَصْرَ تَشْدِيدًا لَهَا، كَذَلِكَ أُعِيدَ النَّخْلُ وَالرَّمَّانُ تَرْغِيبًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقَالَ: وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} ، ثُمَّ قَالَ {وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ فِي قَوْلِهِ: {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} ".

قال ابن كثير: " ثُمَّ قَالَ: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} قِيلَ: الْمُرَادُ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: خَيْرَاتٌ جَمْعُ خَيْرَةٍ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الْحَسَنَةُ الْخُلُقِ الْحَسَنَةُ الْوَجْهِ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ وَرَوَى مَرْفُوعًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ الَّذِي سَنَوْرَدُهُ فِي سُورَةِ "الْوَاقِعَةِ" : أَنَّ الْحُورَ الْعَيْنِ يُعْنِينَ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ، خُلِقْنَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ. وَلِهَذَا قَرَأَ بَعْضُهُمْ: "فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ"، بِالتَّشْدِيدِ {حِسَانٌ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ} ".

والقراءات يفسر بعضها بعضا فيحمل قراءة خيرات بدون التشديد على قراءة التشديد فيكون المراد به النساء الصالحات ويؤيده حديث غناء الحور العين المتقدم.

قال ابن القيم في حادي الارواح: " فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيره كسيده ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم وحسان الوجوه ".

قوله تعالى: { حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ (75) }

قال ابن جرير: " يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبِرًا عَنْ هَوْلَاءِ الْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ { حُورٌ } يَعْنِي بِقَوْلِهِ حُورٌ : بَيْضٌ، وَهِيَ جَمْعُ حُورَاءَ، وَالْحُورَاءُ: الْبَيْضَاءُ ".

قال مجاهد: الحور: البيض قلوبهم وأنفسهم وأبصارهم .

قال ابن كثير: " ثُمَّ قَالَ: { حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ } ، وَهُنَاكَ قَالَ: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ قَصَرَتْ طَرْفُهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلَ مِمَّنْ قَصُرَتْ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُخَدَّرَاتٍ ".

وقال ابن الجوزي: " وفي المقصورات قولان .

أحدهما: المحبوسات في الحِجَالِ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَسَنِ ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ ، وَالْقُرْظِيِّ ، وَالضَّحَّاكِ ، وَأَبِي صَالِحٍ .

والثاني : المقصورات الطرف على أزواجهن ، فلا يرفعن طرفاً إلى غيرهم ، قاله الربيع . وعن مجاهد كالقولين . والأول أصح ، فإن العرب تقول : امرأة مَفْصُورَةٌ وقَصِيرَةٌ وقَصُورَةٌ : إذا كانت ملازمة خدرها " .

وروى البخاري عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلَاءَ مَجُوفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِائاً فِي كُلِّ رَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرُونَ الْآخِرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلٌ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا " . قال ابن كثير : " { لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ } : [قَدْ] (5) تَقَدَّمَ مِثْلُهُ سِوَاءً ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي وَصْفِ الْأَوَائِلِ بِقَوْلِهِ : { كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ . فَبَآئِي الْأَعْيُنِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ } " .

قال ابن جرير : " قوله : (لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ) يقول تعالى ذكره : لم يمسهن بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولا جان .

وقرأت قرآء الأمصار (لَمْ يَطْمِئُنْ) بكسر الميم في هذا الموضع وفي الذي قبله . وكان الكسائي يكسر إحداهما . ويضم الأخرى .

والصواب من القراءة في ذلك ؛ ما عليه قرآء الأمصار لأنها اللغة الفصيحة ، والكلام المشهور من كلام العرب " .

وقال ابن جرير : " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله - تبارك وتعالى - وصفهن بأنهن مقصورات في الخيام ، والقصر : هو الحبس ، ولم يخص وصفهن بأنهن محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر ، بل عم وصفهن بذلك ، والصواب أن يعم الخبر عنهن بأنهن مقصورات في الخيام على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، كما عم ذلك " . ومن حسن المرأة ان تقر في بيتها ولا تكون خراجة الولاعة .

قال ابن الجوزي : " قوله تعالى : { مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ } وقرأ عثمان بن عفان ، وعاصم الجحدري ، وابن محيصن : « على رَفْرَفٍ » جمع غير مصروف . وقرأ الضحاك ، وأبو العالية ، وأبو عمران الجوني مثلهم ، إلا أنهم صرفوا « رَفْرَفٍ » قال ثعلب : إنما لم يقل : أخضر ، لأن الرَّفْرَفَ جمع ، واحده : رفرفة ، كقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً } [يس : 80] ولم يقل : الْخُضْرُ ، لأن الشجر جمع ، تقول : هذا حصيٌّ أبيض ، وحصيٌّ أسود " .

وقال ابن كثير : " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الرَّفْرَفُ : الْمَحَابِسُ (1) . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَعِكْرَمَةُ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَغَيْرُهُمَا : هِيَ الْمَحَابِسُ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ بَدْرٍ : الرَّفْرَفُ عَلَى السَّرِيرِ ، كَهَيْئَةِ الْمَحَابِسِ الْمُتَدَلِّيِ .

وَقَالَ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ : { مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ } يَعْنِي : الْوَسَائِدَ . وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي رِوَايَةِ عَنْهُ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ : { مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ } قَالَ : الرَّفْرَفُ : رِيَاضُ الْجَنَّةِ " .

قال ابن جرير : " وذكر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر غير محفوظ ، ولا صحيح السند (على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِي) بالألف والإجراء . وذكر عن زهير الفرقي أنه كان يقرأ (على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) ، بالألف وترك الإجراء ، (وَعَبَاقِرِي حِسانٍ) بالألف أيضاً ، وبغير إجراء . وأما الرفراف في هذه القراءة ، فإنها قد تحتمل وجه الصواب . وأما العباقرِي ، فإنه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية ،

1 - ذكر المفسرون أن المحبس هو ثوب أو فرش يطرح على ظهر الفراش الموضوع على السرير ، أي يغطي السرير وما حوله .

لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف، ولا ثلاثة صحاح. وأما القراءة الأولى التي ذكرت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو كانت صحيحة، لوجب أن تكون الكلمتان غير مجرأتين". قال الأزهري في تهذيب اللغة: "قرأ بعضهم: (عباقري حسان)، أراد بعباقري جمع عبقرى، وهذا خطأ؛ لأن المنسوب لا يجمع على نسبه، ولا سيما الرباعي لا يجمع الخنعمى بالخناعمى، ولا المهلبى بالمهالبي".

قال ابن كثير: "وقوله: {وَعَبْقَرِيَّ حَسَانَ} : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: الْعَبْقَرِيُّ: الزَّرَابِيُّ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: هِيَ عِتَاقُ الزَّرَابِيِّ، يَعْنِي: جِيَادَهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْعَبْقَرِيُّ: الدِّيبَاجُ.

وَسُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ قَوْلِهِ: {وَعَبْقَرِيَّ حَسَانَ} فَقَالَ: هِيَ بَسْطُ أَهْلِ الْجَنَّةِ - لَا أَبَا لَكُمْ - فَاطْلُبُوهَا. وَعَنِ الْحَسَنِ [الْبَصْرِيِّ] رَوَايَةٌ: أَنَّهَا الْمَرَافِقُ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الْعَبْقَرِيُّ: أَحْمَرٌ وَأَصْفَرٌ وَأَخْضَرٌ. وَسُئِلَ الْعَلَاءُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْعَبْقَرِيِّ، فَقَالَ: الْبَسْطُ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو حَزْرَةَ يَعْقُوبُ بْنُ مُجَاهِدٍ: الْعَبْقَرِيُّ: مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْعَبْقَرِيُّ: الطَّنَافِسُ الْمُخْمَلَةُ، إِلَى الرَّقَّةِ مَا هِيَ. وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: كُلُّ ثَوْبٍ مُوشَى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيٌّ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَرْضٍ يُعْمَلُ بِهَا الْوَشْيُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: كُلُّ شَيْءٍ يَسُرُّ مِنَ الرِّجَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُسَمَّى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيًّا. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمْرٍ: "فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ". وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَصْفَةٌ مَرَّافِقُ أَهْلِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَرْفَعُ وَأَعْلَى مِنْ هَذِهِ الصَّفَةِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ هُنَاكَ: {مُتَكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَانِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}، فَتَعَتْ بَطَانِينَ فُرْشَهُمْ وَسَكَتَ عَنْ ظَهَائِرِهَا، اِكْتِنَاءً بِمَا مَدَحَ بِهِ الْبَطَانِينَ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخَرَى. وَتَمَامُ الْخَاتِمَةِ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَالنِّهَايَاتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ الْإِيمَانَ. فَهَذِهِ وَجُوهٌ عَدِيدَةٌ فِي تَفْضِيلِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ عَلَى هَاتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْوَهَّابَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْأُولَيَيْنِ".

قال ابن جرير: "وقوله {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} يقول تعالى ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد، {ذِي الْجَلَالِ} : يَعْنِي ذِي الْعِظْمَةِ، {وَالْإِكْرَامِ} يَعْنِي: وَمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ. كَمَا حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثَنَا معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: {ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} يقول: ذُو الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ".

ثُمَّ قَالَ: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} ذِي الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَذِي السُّلْطَانِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ" (حسنه الالباني في صحيح الجامع). وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْنَى: حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ الْجَبْرِ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْظُّوَا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ". (وصححه الالباني في صحيح الجامع)

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: أَلْظُّ فَلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا لَزِمَهُ .

وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "الْظُّوَا وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: أَلْظُّ فَلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا لَزِمَهُ .

وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "الْظُّوَا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" أَي: الزَّمُوا. وَيُقَالُ: الْإِلْظَاظُ هُوَ الْإِلْحَاحُ.

قُلْتُ: وَكِلَاهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الْآخِرِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَهُوَ الْمُدَاوِمَةُ وَاللِّزُومُ وَالْإِلْحَاحُ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالسُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا سَلَّمَ لَا يَقْعُدُ -يَعْنِي: بَعْدَ الصَّلَاةِ- إِلَّا قَدَرَ مَا يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ".

وقال الصابوني: "قال هناك: { فيهما عينان تجريان } وقال هنا: { فيهما عينان نضاختان } ، والجري أشد من النضخ ، وقال هناك: { فيهما من كل فاكهة زوجان } وقال هنا: { فيهما فاكهة ونخل ورمان } والأول أعم وأشمل ، وقال في صفة الحور هناك: { كأنهن الياقوت والمرجان } وقال هنا: { فيهن خيرات حسان } وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان ، فالوصف هناك أبلغ ، وقال هناك في وصف الفرش: { متكئين على فرش بطائنها من استبرق } وهو الديباج وقال هنا: { متكئين على رفر ف خضر } ولا شك في أن الفرش المعدة للاتكاء ، أفضل من فضل الخباء { متكئين على رفر ف خضر } أي مستندين على وسائد خضر من وسائد الجنة ((هذا قول الحسن وقال ابن عباس: الرفر ف: فضول المحابس وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه)) . { وعبقرى حسان } أي وطنافس ثخينه مزخرفة ، محلاة بأنواع الصور والزينة ، قال الصاوي: وهي نسبة إلى " عبقر " قرية بناحية اليمن ، ينسج فيها بسط منقوشة ، بلغت النهاية في الحسن ، ففقر الله لنا فرش الجنتين ، بتلك البسط المنقوشة

{ تبارك اسم ربك } أي تنزه وتقدس الله العظيم الجليل ، وكثرت خيراته وفاضت بركاته { ذي الجلال والإكرام } أي صاحب العظمة والكبرياء ، والفضل والإنعام ، قال في البحر: لما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله: { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } ختم نعم الآخرة بقوله: { تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام } وناسب هناك ذكر البقاء والديمومة له تعالى ، بعد ذكر فناء العالم ، وناسب هنا ذكر البركة وهي النماء والزيادة ، عقب امتنانه على المؤمنين في دار كرامته ، وما آتاهم من الخير والفضل العظيم ، في دار النعيم".

وقال ابن القيم: " والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه أحدها قوله ذواتا أفنان وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما الثاني قوله فيهما عينان تجريان وفي الآخرين فيهما عينان نضاختان والنضاخة هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان الثالث أنه قال فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الآخرين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل الرابع: أنه قال: {متكئين على فرش بطائنها من استبرق}، وهذا تنبيه على فضل الظاهر وخطرها، وفي الآخرين قال: {متكئين على رفر ف خضر وعبقرى حسان}، وفسر الرفر ف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش، وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين. الخامس: أنه قال: {وجنى الجنتين دان} أي: قريب وسهل، يتناولونه كيف شاءوا، ولم يذكر ذلك في الآخرين. السادس: أنه قال: {فيهن قاصرات الطرف} أي: قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم؛ لرضاهن بهم، ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن أطراف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الآخرين: {حور مقصورات في الخيام}، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت غيرها. السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها. الثامن: أنه قال □ في الجنتين الأوليين: {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}، وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل. التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين، وجعلهما جزءاً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف

ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مُقَرَّبين وأصحاب يمين ذكر جنتي المُقَرَّبين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين". (حادي الارواح).

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.
تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الرحمن

جمع واعداد
محمد مريس الحجاجي

المصادر

- 1- تفسير الطبري.
- 2- تفسير ابن كثير.
- 3 - تفسير ابن عطية.
- 4- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .
- 5- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- 6- تفسير الالخازن.
- 7- تفسير الكشاف للزمخشري.
- 8- تفسير اضواء البيان للشنقيطي.
- 9- تفسير الرازي.
- 10- تفسير المجموع الثمين لابن عثيمين .
- 11- موسوعة التفسير بالمأثور لمجموعة مؤلفين.
- 12- فتح القدير للشوكاني.
- 13- لسان العرب لابن منظور.
- 14- حادي الارواح لابن القيم .
- 15- البحر المحيط لابن حيان الاندلسي.
- 16- تفسير الالوسي.
- 17- نونية ابن القيم .
- 18- تفسير الالوسي.
- 19- تهذيب اللغة للازهري.
- 20- لسان العرب لابن منظور .
- 21- التعليق على الجلالين لعبدالكريم الخضير.
- 22- تفسير السورة لمصطفى العدوي.

23- التعليق على المصباح المنير لخالـد السبـت .

24- شرح أصول اعتقاد أهل السنة - صفة الوجه والعين لله عز وجل للشيخ : حسن أبو الأشبال
الزهيري